حكاية ويكيبيديا

كيف صنع متطوعون عاديون أعظم موسوعة في تاريخ البشرية



عبّاد ديرانية

حكاية ويكيبيديا

عباد ديرانية

"حكاية ويكيبيديا" هو كتاب إلكتروني حر ومجاني أيضاً، يتحدث عن موسوعة ويكيبيديا الشهيرة. يناقش المؤلف عبّاد، وهو كاتب ومراجع وإداري في ويكيبيديا منذ عشر سنوات، كيف يستطيع المتطوّعون في ويكيبيديا كتابة مقالات موسوعية وضبط جودتها ودقتها العلمية والأكاديمية. فرُغم أن ويكيبيديا هي سادس أكثر المواقع شعبية على الإنترنت، إلا أنَّ مُعظم متصفّحيها لا يدركون كيفية تأليف مقالاتها، وتوثيقها بالمصادر، والحفاظ على حياديتها وموضوعيتها من التلاعب. يتحدث الكتاب أيضاً عن تاريخ الموقع، وسياسته في جمع التبرعات وصرف الأموال، وكذلك عن المشاريع والمبادرات المبذولة في المنطقة العربية لتطوير هذه الموسوعة وإثراء محتواها باللغة العربية.

Abbad.me

LibreBooks.org

aaddira@gmail.com

we@LibreBooks.org

قام بالتنضيد والإخراج الفني لهذه الوثيقة **أحمد م. أبوزيد** كجزء من مشروع "**كتب عربية حرة**".

LibreBooks.org

وذلك باستخدام برمجيات حرة مفتوحة المصدر حصراً! شكراً لنظام "أوبنتو لينُكس"، المجموعة المكتبية "ليبر أوفِس"، محرري الرسوميات "جِمب" و "إنكسكيب"، وغيرهم من البرمجيات الرائعة الأخرى.

الفهرس

أنت الآن في أحد المراكز التجارية، تحاول تحديد نوع الحاسوب الجديد الذي تريد شرائه، وفجأة يقابلك مصطلح تقني غريب لم تسمع به قبلاً عن برنامجٍ جديد. أو ربَّما تجلس في المساء لتشاهد برنامجاً تلفزيونياً بعد يوم عملٍ مرهق، وتسمع عن شيء مشوِّق تريد أن تعرف عنه أكثر. أو حتى لو كنت في صيدلية تحاول معرفة الآثار الجانبية لأدويتك التي وصفها لك الطبيب، في جميع الأحوال. فإنَّ ما ستلجأ إليه سيكون شيئاً واحداً على الدَّوام: **ويكيبيديا**!

لكن في أغلب الأحوال وبالنسبة لمعظم الناس، فإنَّهم عندما يفكرون بالحل السحري لمشاكلهم -ويكيبيديا- لا يخطر على بالهم أن يفكِّروا بما بُذِلَ لإيصال هذه الموسوعة المدهشة إلى أيديهم، ولا يستوعبون أن كلَّ سطرٍ يقرؤونه كتبه متطوِّع عاديٌّ من منزله، ترك عائلته وأولاده ورفاقه وفرَّغ ساعاتٍ وأياماً من وقته ليوصل إليك هذه المعلومة، لا ليتقاضى أجره عليها، أو ليشتهر اسمه بها، بل لسببٍ واحدٍ فقط كما يُلخّصه "جيمي ويلز": إيمانه بأنَّ المعرفة الإنسانية يجب أن تكون متاحةً لكلّ إنسانٍ على وجه الأرض دون مقابل.

عبّاد ديرانية

٢٢ شباط ٢٠١٧

بداية

الهدف من هذا الكتاب هو تقديم موسوعة ويكيبيديا إلى أيّ شخصٍ مهتم بالتعرُّف عليها أو الانضمام "لها للمساعدة على بناء موسوعة حرة لجميع البشر. مع أنَّ هناك الكثير من صفحات الإرشادات المكتوبة على موقع ويكيبيديا التي تهدف لمساعدة الجُدد وتعريفهم بطريقة عمل الموسوعة، إلا أنَّني وجدت، من تجربتي، أن من يصلُون إليها قليلون جداً. ناهيك عن أن يهتمّوا بقراءتها والتبحُّر بينها (وهي كثيرة ومبعثرة). عدا عن ذلك، الوصول إلى تلك التعليمات بحدّ ذاته أمرٌ صعب نوعاً ما، وكذلك الأمر بالنسبة لمعظم الصفحات الإدارية والتقنية على ويكيبيديا.

مع أنَّ ويكيبيديا تعتمد الشفافية التامة بكل العمليات التي تتم داخلها، ولا تحاول حجب أي معلوماتٍ عن عامة الناس، إلا أن ثمة فجوة كبيرة قائمةً بين من يكتبون مقالاتها ومن يقرؤونها. فمَع أن ويكيبيديا الآن هي سادس أكثر موقع يتصفُّحه الناس على شبكة الإنترنت، ومع أنها تتلقى أكثر من ٥٠٠ مليون زائر شهرياً، إلا أنَّ الغالبية العظمى من هؤلاء الزوار بالكاد يعرفون أي شيء عن طريقة إدارة هذه الموسوعة والعناية بمقالاتها. بما أنَّ ويكيبيديا هي أولاً وأخيراً هبة للبشرية، وملكٌ لجميع الناس، فكان من المهم جداً أن يفهم كل شخصٍ كيفَ وصلت إلى يديه هذه الموسوعة العظيمة وما الجهود التي بُذلت ورائها.

ا. تقديم

أعتقدُ أنَّه من غير المُحتمل لأيّ شخصٍ فتح هذا الكتاب وشرع بقراءته ألا يكون على معرفة جيّدة بما هي ويكيبيديا وما الفكرةُ من ورائها. قد لا تستعملُ ويكيبيديا في كلِّ يوم، لكنّك بالتأكيد سبقَ لك وأن فتحت مقالاتها، ليس مرَّة أو اثنتين، بل العشرات والمئات من المرّات. وكما آملُ أيضاً، فلا بُدَّ أنك مُلمٌّ بالفلسفة التي وراءها، مثل أنَّها مشروعٌ "حُرّ"، وتعاوني، وقائمٌ على الجُهود المشتركة لملايين الأشخاص.

على الأرجح أنَّ هذه الأشياء يعرفُها جميع من يُمكن أن يتصفَّحَ هذا الكتاب، ورُبّما مُعظم مُستخدمي الإنترنت أيضاً، حتى ومن لا يعرفُها سيستطيع أن يطلبَ من صديقه المَهوُوس بالتقنية أن يشرحها له وسيحصلُ على إجاباتٍ وافية عليها. لذا، يُسعدني أن أخبرك أنَّني لن أهدرَ وقتك بالحديث عن أيّ منها، ليسَ بالطريقة التقليديّة على أيّ حال.

ما أريدُه من هذا الكتاب هو أن أخبرك عن الأمور الأكثر تعقيداً في ويكبيديا، والتي لن تعرفها إلا لو قضيتَ وقتاً طويلاً فيها. قد تعتقدُ أنَّك تعرُفُ ما هي ويكيبيديا، لكن ليسَت لديكَ أيُّ فكرة كيفَ تستطيعُ أداء عملها وإيصال المقالات إليكَ بشكلها الذي تراهُ الآن، فأنتَ لا تدري كيف تتمُّ حماية ويكيبيديا من التلاعب والتخريب أو لماذا لا يتمُّ حشوُ كلّ صفحاتها بالكلام الفارغ، وكيف يستطيع ثُلّة من المُتطوّعين غير المُؤهَّلين أكاديمياً أن يكتبُوا مقالاتها فائقة الجودة، وكيفَ يحمُونها من محاولات التلاعب الكثيرة التي تتعرّضُ لها.

وقد تكون لديك بعضك نظريّات المُؤامرة الخاصة بك حول وُجود جهاتٍ شريرة تتلاعبُ بويكيبيديا، مثلاً. في مقالاتها عن جُلِّ المواضيع السياسية، ورُبّما تريدُ أن تعرف كيف تضمَنُ ألا تكون هذه الموسوعة خاضعةً لسيطرة مُنظّمات ماسونيّة تلهو بها كيفما شاءَت.

حسناً، ما أُريد فعله في هذا الكتاب هو أن أُعرِّفكَ بكلِّ ذلك، بالأشياء التي لن تستطيع أن تعرفها إلا من شخصٍ من داخل ويكيبيديا وعلى درايةٍ عميقة بها. سأتطرق قليلاً إلى كيفية المشاركة بويكيبيديا والمساعدة بكتابة مقالاتها، لكن هدفي الأساسي سيبقى شرح طريقة عملها كموسوعة. وبما أنَّنا سنبدأ الكلام، فلعلَّه من المُناسب أن أعرّف بنفسي أيضاً قبل أن ندخلَ موضوعنا.

٢. تعريف

هذا تعريفٌ تقديميٌّ بمؤلِّف الكتاب، لو لم تكن مُهتمًّا بالتعرُّف إليه، أو معرفة المزيد عنه (لو كنتَ تعرفه بالفعل)، فبإمكانك القفزُ إلى الفقرة التالية، فهو لن يأخذ الأمر على نحوٍ شخصي، كما أنَّه -على الأرجح- لن يعرف إذا ما كنتَ قد قرأتَ هذا التعريف أو الكتاب كله أصلاً.

اسمي عبَّاد، أعلم أنه اسمٌ غريب. فقد مررتُ بالكثير من المواقف التي أوضحت لي ذلك على مرِّ حياتي القصيرة،[١] لكن اختياره جاء بسبب رغبةٍ من والديّ بإحياء الأسماء العربيَّة التي اشتُهرت في الماضي. بالطبع، أنا من يدفع ثمن إحياء الاسم الآن.

لا أدري لو كانت لحياتي الشخصيَّة أهميَّة بالنسبة لك، لكنني أقيم بمدينة عمَّان، ولي أصل سوري، وأنا طالب لُغة إنكليزية بالجامعة الأردنية، وأعملُ بدوامٍ حُرٍّ في الترجمة والتحرير. أظنُّ أن طموحي هو الحصول على عمل في مجال الصحافة العلميَّة، رُبَّما لدى مجلة ناشيونال جيوغرافيك أو شيءٍ من هذا القبيل، ولنأمل أن أتمكَّن من تحقيق ذلك يوماً.

في كلّ الأحوال هذه الأمور ليست جوهريَّة كثيراً الآن، فهذا الكتاب عن ويكيبيديا، لذا رُبَّما عليَّ التحدُّث عن علاقتي بها. قمتُ بتعديلاتي الأولى في ويكيبيديا العربيّة قبل عشر سنوات بالضَّبْط، كنتُ وقتها في نهاية المرحلة الابتدائيّة، بالصفّ الرابع أو الخامس على ما أعتقد، وكان كلُّ ما قمتُ به تعديلاتٍ سيّئة جداً أو عديمة الفائدة بالكُليَّة، فقد حاولتُ إنشاء بعض المقالات بنسخ نُصوصٍ ولصقها من مواقع إنترنت عربيَّة رديئة، وأظنُّ أن جميعها حُذفت أو أُزيلت مُنذ زمنٍ بعيد.

---

(١) كانت هذه الحقيقة سبباً غير مباشرٍ في أن مقالة المعتمد بن عبَّاد على ويكيبيديا العربية تحمل الآن نجمة المقالة المختارة، ولنأمل خيراً بأن تلك ستكون بادرةً لتخليد الاسم وإبعاد علامات الاستفهام عن وجهك أنت وباقي القرَّاء من الآن فصاعداً :)

أنشأتُ حساباً خاصاً بي على ويكيبيديا العربيَّة لأوَّل مرة في شهر آب (أغسطس) سنة ٢٠٠٩، كان عمري وقتها ثلاثة عشر سنة تقريباً. لن أزعمَ أنَّ مقالاتي الأولى كانت أفضل حالاً ممَّا تتوقَّعه من ولدٍ في الثالثة عشرة من عُمره، إلا أنَّني كنتُ معجباً كثيراً بفكرة هذه الموسوعة وبالخدمة العظيمة التي تُسديها، بحيث أنَّني صرتُ راغباً بشدَّة بأن أتعلم كيف أساعد ببنائها.

ففي نظري، ويكيبيديا هي واحدةٌ من أفضل الإنجازات التي حقَّقتها البشريَّة مُنذ صناعة الإنترنت. تخيَّل، قبل عشر سنوات، فكرة وُجود مصدرٍ مجانيٍّ للمعلومات مُتاحٍ -لدواعٍ خيريَّة بحتة- لكلِّ شخصٍ لديه اتصال إنترنت. في ذلك الوقت، كان يبدو وُجود شيءٍ مثل ويكيبيديا أمراً مُستحيلاً.

مُنذ أن أنشأتُ حسابي ولمُدَّة ثلاث أو أربع سنواتٍ مُتتالية كنتُ أكتب مقالاتٍ على ويكيبيديا على نحوٍ شبه يوميّ، يبلغ عددُ المقالات التي كتبتُها بالكامل (حسب إحصاءات ويكيبيديا) ٩١٠ مقالات،[٢] وقد قمتُ أيضاً بما يربُو من خمسةٍ وعشرين ألف تعديلٍ على أكثر من ٩,٠٠٠ مقالةٍ أخرى.

بعد ثلاث سنواتٍ من انضمامي أصبحتُ إدارياً على ويكيبيديا العربيـة: فإن حاولتَ تخريب الموسوعة، كنتُ قادراً على إلغاء تعديلاتك ومنعك من التحرير، لكنَّني لم أعد كذلك الآن. فقد قدَّمتُ استقالتي مُنذ سنة تقريباً (في عام ٢٠١٥)، لأنَّ نشاطي انخفضَ كثيراً، ولم أجد من اللائق أن أستمرَّ بامتلاك هذه الصلاحيَّات دُون الاستفادة منها.

(٢) إحصائياً، تبلغ نسبة المقالات التي أنشأتُها من الصّفر أو طورتها لأضعاف حجمها الأصليّ نحو ٠,٣٪ من كافَّة مقالات ويكيبيديا العربيَّة، أي واحدةً من كلّ ٣٥٠ مقالةً عربية تقريباً.

أثناء السَّنوات السَّبع الماضية شاركتُ في عددٍ جيِّدٍ من المُلتقيات والاجتماعات المُتعلِّقة بويكيبيديا. حصلتُ في سنة ٢٠١٣ على منحةٍ لحُضور مؤتمر مجتمع ويكيبيديا السنويّ (ويكيمانيا - Wikimania) في مدينة هونغ كونغ، ومرَّة أخرى في العام التالي بمدينة لُندن في بريطانيا، حيث التقيتُ بعشرات الأشخاص المُشتركين في هذا المجتمع من مُختلف دول العالم. كما حصلتُ على دعوة لورشة بحثيَّة لجامعة أكسفورد في عمَّان، ولـ Hackathon (ورشة تحرير في الأردن أيضاً سنة ٢٠١٤. كانت هذه الفرص رائعةً جداً، فقد التقيتُ فيها -لأول مرَّة- على أرض الواقع العديدَ من الأشخاص الذين تعاملتُ معهم عبر الإنترنت لسنواتٍ طويلة، وتعرّفت إلى عشرات الويكيبيديين الأجانب من العديد من دول العالم.



ساهمتُ في تنظيم بعض نشاطات ويكيبيديا أيضاً، فقد شاركتُ في نهاية العام الماضي بتأسيس مجموعة "ويكيميديا بلاد الشام"، وهي أوَّل مُنظَّمة تُوحِّد مُجتمع الويكيبيديِّين في دُول الشام. وفي شهر آذار (مارس) عام ٢٠١٦، كنتُ أمين سرِّ مؤتمر ويكي عربيَّة الثاني في عمَّان، وهو مؤتمرٌ إقليميٌّ سنويّ يجمعُ الويكيبيديِّين العرب.

منذ دخولي ويكيبيديا شهدت عشرات النقاشات والحوارات، وتعرَّفت إلى مئات الأشخاص من مُعظم بُلدان العالم العربي، وحضرت عدداً لا بأس به من المناسبات واللقاءات والاجتماعات الخاصَّة بويكيبيديا في بلدانٍ عربيَّة وأجنبيَّة. كل ذلك أعطاني كماً كبيراً من التجارب واطلاعاً كبيراً على سير العمل في ويكيبيديا، والآن، بما أنَّ نشاطي على الموقع تضاءل قليلاً، فأصبحت أرى أنَّ من المُهمِّ -على الأقل- أن أُشارك ما تعلَّمته لأساعدَ على تعريف الناس بكيفيَّة عمل هذه الموسوعة.

أنا أؤمن بأن ويكيبيديا يجب أن تكون شفَّافة، ويجب أن يكون جميع مُستخدمي الإنترنت على اطّلاعٍ بسير الأمور الداخلية فيها كما يطلعون على ظاهرها الخارجي من مقالاتٍ ومواضيع. ومع أنَّ أياً من الأمور التي تحدث وراء كواليس الموسوعة ليس سرية أو محجوبة عن العامَّة قصداً، فإنه أيضاً لن يكون سهلاً لأحدهم أن يلمّ بطبيعة الأمور في الداخل وحده دون بذل جُهدٍ كبيرٍ للوُصول إلى الصّفحات المعنيَّة بذلك، وليس من المرجَّح أن يعرف أحدٌ غير المساهمين في ويكيبيديا أنفسهم كيف يتمُّ تقرير ما تحتويه مقالاتُها.

كيف ظهرت ويكيبيديا؟

ا. ولادة الموسوعة

ولد مفهوم ويكيبيديا في شكله الأول بيومٍ من أحد أيّام شتاء عام ٢٠٠٠، عندما اقترح ريتشارد ستولمان Richard Stallman. وهو مؤسّس حركة البرمجيات الحرة، وضلعٌ رئيسيّ في مشروع غنو GNU Project وفي تأسيس نظام جنو/لينُكس الشهير، فكرة تأسيس موسوعةٍ إلكترونية تشاركية. لم يكن هذا مجرَّد اقتراح، بل تحوَّل إلى مشروعٍ فعليّ، رغم أنَّ القليلين سمعوا به. انطلق هذا المشروع في شهر يناير من عام ٢٠٠١ باسم "غنو بيديا" GNUPedia[٣]، لكن بحلول ذلك الوقت. كانت هناك منافسةٌ أخرى على الساحة.

فقبل إطلاق مشروع ستولمان الطّموح بعامٍ تقريباً، كان قد سبقه رجلٌ آخر. رجل أعمالٍ أمريكيٌّ من ألاباما، يدعى جيمي ويلز، لكن وما قد لا يعرفه الكثيرون، أن بداية جيمي ويلز لم تكن جيّدة كثيراً. أول الأمر، صحيحٌ أنَّ ويلز أراد مشروع موسوعة حرَّة، إلا أنَّ تحريرها "لم يكن للجميع"، وكذلك فإنَّها كانت مشروعاً ربحياً. دُعِيَ مشروع ويلز الأول "نوبيديا" Nupedia، وكانت فكرته تتلخَّص بتأسيس موسوعةٍ الكتابة فيها مقصورة حصراً على الأكاديميّين والمتخصّصين، ولا يُسمَح للأشخاص العاديّين بتعديلها، وتولَّى صديق ويلز المدعوّ لاري سانجر إدارة الموسوعة، ووضعت الإعلانات التجاريَّة على صفحاتها لجني المال منها.

(٣) في آخر الأمر، لم تحصل غنوبيديا إلا على ثلاث مقالاتٍ معروفةٍ نُشِرَت على قائمتها البريدية آنذاك، كانت مواضيع هذه المقالات هي: لغة برمج سي، ولغة الإسبرانتو، ومؤسس لغة الإسبرانتو "لودوفك زامنهوف". سُرعَان ما مات المشروع وتخلَّى عنه مؤسّسوه، وأعلن رتشارد ستولمان بنفسه أنَّه الآن يدعم ويكيبيديا ويشجّع الناس على التوجه إليها

على كلِّ حال، لم يكن مقدَّراً لذلك المشروع الربحي أن يُحقِّق شيئاً، فقد فشلت تلك الموسوعة فشلاً ذريعاً، خصوصاً وأن الأكاديميين عموماً أناس منشغلون وليسوا توّاقين لأفكارٍ مثل التطوُّع والعمل دون مقابل، لهذا السبب. لم تجتذب الموسوعة عدداً يُذكَر من المحرّرين. بعد ثلاثة أعوامٍ من ذلك التاريخ، سيقرّ جيمي ويلز بالفشل ويُعلن عن الإغلاق النهائي لموقع نوبيديا، وسوف تنبعث من رماد ذلك المشروع الربحيّ أعظم موسوعة عرفتها البشرية.


جيمي ويلز، مُؤسّس ويكيبيديا وعضوٌ شرفي في مُؤسّسة ويكيميديا.

في نهاية العام الأول من تجربة نوبيديا، كان قد اتَّضح بالفعل لويلز وصديقه سانجر أن فكرتهما لم تكن ناجحة. لذلك، قرّرا أخيراً مع بداية عام ٢٠٠١ أن يطلقا الموسوعة الجديدة، الموسوعة الحرة الحقيقية التي يمكن للجميع تحريرها، والتي لا تسعى لأيّ نوعٍ من الرّبح، وبدأ المشروع بتاريخ ١٥ يناير. كانت ويكيبيديا فكرة جيمي ويلز، إلا أنَّ من قام بإدارة المشروع وصونه بالمعظم -في مرحلته الأولى- هو سانجر، رغم ذلك وبفضل جهودٍ حثيثة من ويلز. فإن اسم سانجر قد اختفى تقريباً من تاريخ ويكيبيديا.

في الأيام الأولى، ساور المؤسِّسين قلقٌ كبيرٌ حول ما قد تأتي به فكرة ويكيبيديا، وفكرا أنَّه في أسوأ الأحوال. يمكن أن تتحول الموسوعة إلى مكب من "القمامة" عديمة الفائدة، على حدّ وصفهما. وكان ويلز يستيقظ في الليالي المظلمة ليفتح الموسوعة ويتفحَّص ما يُضَاف إليها من مقالات، ويتابع باهتمامٍ تطوُّر المشروع.

أول صفحةٍ أضيفت إلى ويكيبيديا كانت تحت عنوان "UuU" بعد يومٍ واحدٍ من تأسيس المشروع، حيث كانت عبارةً عن صفحة توضيحٍ احتوت عدة مصطلحات قد يعبّر عنها هذا الاختصار الإنكليزي: "هل تقصد الولايات المتحدة؟ أم المملكة المتحدة؟ أم الأوروغواي؟".

لمفاجئة الشريكيَن، حقَّقت الموسوعة الجديدة نجاحاً باهراً لم يتوقَّعاه قطّ، وخلال أيام بدأت نواة مجتمعٍ من المحرّرين المتطوّعين بالتشكل، وبدأ المشروع يتبلور ويأخذ شكلاً أكثر وضوحاً. فخلال أقلِّ من شهرٍ واحدٍ بعد التأسيس تجاوز عدد صفحات ويكيبيديا الألف صفحة، ثم تجاوز العشرة آلافٍ بعد أقلّ من نصف عام، وبنهاية تلك السنة تجاوز الرقمُ عشرين ألفاً. جاء أول اهتمامٍ إعلاميّ من جهةٍ بارزةٍ في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠١، عندما نشرت صحيفة نيويورك تايمز الشهيرة مقالاً عن ويكيبيديا.


لاري سانجر، شريكُ جيمي ويلز في تأسيس ويكيبيديا.

لفترةٍ طويلة، كان يُعتَقد أن التعديلات الأولى التي أدخلت على ويكيبيديا فقدت للأبد، حيث أنَّ تبديلاً في برنامج الميديا ويكي المستعمل أدَّى إلى محو كل بيانات الشهر الأول من تاريخ الموسوعة. لكن بعد تسعة أعوامٍ من تأسيس ويكيبيديا، سيكشف تم ستارلنغ في منتصف عام ٢٠١٠ عن عثوره (في موقع سورس فورج.نت) على توثيقٍ كاملٍ لكلّ تعديلٍ أدخل على المشروع منذ يومه الأول وحتى ستة شهورٍ بعد تأسيسه. لذا يمكننا القول الآن أن لدينا توثيقاً كاملاً لكل حرف أضيف إلى ويكيبيديا منذ يومها الأول.

ا. إطلاقُ النسخة العربيّة

بعد أسابيع قليلةٍ من تأسيس ويكيبيديا، بدأت القاعدة اللغويَّة للمشروع بالتوسُّع. حيث جاءت أول نسخة من ويكيبيديا بلغةٍ غير الإنكليزية في ١٦ مارس من السنة نفسها، عندما أعلن عن انطلاق النسخة الألمانية من ويكيبيديا. وخلال ساعاتٍ من ولادة ويكيبيديا الألمانية، تبعتها النسخة الكتالانية ثم اليابانية، وبعد شهرين من ذلك الفرنسية. بعد أسابيع من ذلك، أي في منتصف عام ٢٠٠١ تقريباً، جاءت موجة كبيرة من الويكيبيديّات الجديدة بلغاتٍ عدة، حيث ارتفع عدد اللغات إلى حوالي العشرين، وكانت من بين هذه اللغات الجديدة الصينية والهولندية والعبرية والإيطالية والبرتغالية والروسية والإسبانية والسويدية والهنغارية والإسبرانتو.

بعد ذلك مباشرة وفي شهر سبتمبر من عام الموسوعة الأول، جاءت ويكيبيديا العربيَّة لتنضمَّ إلى ركب اللغات الجديد. في حين تأسيس النسخة العربيَّة، كانت توجد ٢١ لغةً من ويكيبيديا، وخلال شهرٍ واحدٍ وصل عدد مقالات النسخة العربية إلى أربع مقالات، لتحتلَّ بذلك المرتبة الـ٢٠ بين ٢١ لغة، وللسخرية بمكان. كان ذلك أفضل ترتيبٍ حقَّقته النسخة العربية في تاريخها كلّه!

كانت بداية ويكيبيديا العربية مثيرةً للشفقة، فقد انتهى عام ٢٠٠٢ بستّ مقالات، وانتهى شهر يوليو من عام ٢٠٠٣ بثماني مقالات، وأخذ مركز الموسوعة يتراجع باستمرارٍ بين اللُّغات الأخرى. على أيَّة حال. أدَّى خطأ في قواعد بينات مؤسَّسة ويكيميديا بذلك الوقت إلى ضياع كلُّ محتوى ويكيبيديا العربية، ففقدنا كنزاً ثميناً من ثماني مقالات لم تسترجع قطّ، وقد أعقبت ذلك إعادة تأسيس لويكيبيديا العربية، ولذلك يُعَتبر شهر يوليو ٢٠٠٣ الآن تاريخ الميلاد الرسمي للموسوعة.

في حقيقة الأمر، كان المؤسّسون الأوائل لويكيبيديا العربية هم محرّرين أجانب (معظمهم من الألمان)، كانوا متحمّسين لفكرة إطلاق ويكيبيديا باللغة العربية. بحلول نهاية العام الثاني للنسخة العربية، بدأت بوادر انتعاشةٍ بالظهور، حيث عملت محررة ألمانية تدعى "إليان" على مراسلة أشخاص في مشروع عرب آيز Arabeyes (وهو مشروع يهدف إلى وضع ترجماتٍ للمصطلحات التقنية الأجنبية)، وانضمّ إذ ذاك عددٌ قليلٌ من المحرّرين المؤسسين الذين أدوا دوراً محورياً في بلورة الشكل الأول للموسوعة. مع نهاية العام، ارتفع عدد المقالات إلى بضع عشرات، وأخذت بوادر الأمل تظهر في الأفق لانتعاش المشروع.

في الأيام الأولى لويكيبيديا العربية، تولّت إدارتها مجموعةٌ صغيرة جداً من المستخدمين. كانت إليان من أبرز شخصيات هذا المجتمع الضئيل، وهي مسؤولة تقنيّة من مؤسسة ويكيميديا تولّت إعادة تأسيس ويكيبيديا العربية بعد مشكلة قاعدة البيانات التي حدثت في يوليو ٢٠٠٣، وقد كانت من أهمّ مُؤسسي النسخة العربية. إلى جانبها، كان هناك عدد من الويكيبيديين العرب الذين لعبوا دوراً هاماً في بداية الموسوعة، بينهم عصام بايزيدي، ورامي طراونة، وأحمد غربية، وعمرو غربية، وأيمن حورية. معظم هؤلاء المساهمين -وعدد كبير من الويكيبيديين الأوائل- كانوا مقيمين في دُولٍ أوروبية، ولعلّ السبب هو تأخر وصول اتصال الإنترنت إلى العالم العربي.

تُعتبر سنة ٢٠٠٤ عام الميلاد الحقيقي لويكيبيديا العربية. كانت بداية العام سيّئة بعض الشيء، حيث استمرّ تراجع مركز الموسوعة على نفس الوتيرة السابقة، فبلغت في شهر فبراير من ذلك العام أسوأ ترتيبٍ لها في كلّ تاريخها، وهو المركز الـ ٤٩ بين ٥٢ لغة وجدت آنذاك. لكن عند هذه النقطة بالتحديد، وصل إلى الموسوعة الجيل الأول من الويكيبيديين الذين شكلوا نواة مجتمع ويكيبيديا العربية، وبفضلهم توقّف تراجع مركز النسخة العربية عند هذا الحدّ، وبدأ تقدُّم بطيءٌ إلى الأمام بعد عامين ونصفٍ من الخمول التامّ.



من هُنا بدأنا! أول مقالة على ويكيبيديا العربيّة، أنشئت في ١١ يوليو سنة ٢٠٠٣.

خلال عام ٢٠٠٤، أضيفت إلى ويكيبيديا العربيَّة ١,٤٣٦ صفحة، ليرتقي مركزها إلى ٤٦ بين أكثر من مائة وسبعين لغة عالمياً، وكانت هذه قفزة النوعية في تاريخ الموسوعة. اهتمَّ الجيل الأول من الويكيبيديين العرب بالأعمال الأساسية المتعلِّقة بإرساء البنى التحتية للمشروع، حيث تُرجِمَت برنامج ميدياويكي MediaWiki وأُنشئت صفحات السياسات والقوانين والإرشادات الرئيسية لويكيبيديا العربية، وتم العمل على آلاف صفحات الأيام والسنوات والبلدان والمدن الكبرى وغير ذلك من المواضيع الأساسية.

حتى نهاية عام ٢٠٠٥ كانت ويكيبيديا العربية في مرحلة التأسيس. في هذه الفترة أرسيت اللبنة الأساسية للموسوعة، واكتمل معظم المحتوى الرئيسي من المقالات (مثل مقالات الدول والمدن الكبرى)، وتشكّلت نواة جيّدة من المحرّرين، وبنهايتها كان المجتمع مؤهلاً للانطلاق وبدء العمل. بنهاية هذه الفترة، تخطّت ويكيبيديا العربية حاجز العشرة آلاف مقالة، وارتقت ارتقاءً سريعاً إلى المركز ٣٤ عالمياً.

خلال فترة عام ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨ تسارع نموّ عدد مقالات ويكيبيديا العربيـة، فقد جرت حملات متكرّرة لرفع عدد المقالات بصورة آلية أو بإضافة البذور القصيرة إليها، حتى انتهى الأمر بتجاوز عدد مقالات الموسوعة مائة ألف مقالٍ في منتصف سنة ٢٠٠٩. لكن وبسبب هذا الأسلوب في كتابة المقالات، امتلئت ويكيبيديا العربية بعشرات آلاف الصفحات القصيرة جداً، وكانت الكثير منها مصنوعة ببرامج حاسوبيّة دون تدخل بشري يذكر. ولا زالت مثل هذه الصفحات سبباً بنفور العديد من القراء من النسخة العربية للموسوعة.

لكن منذ ذلك الوقت، بدأت حركة مضادَّةٌ للارتقاء بجودة الموسوعة، تمخضت عن خلافات كثيرة بين الويكيبيديين العرب وأفراد المجتمع. بسبب هذا، بدأ المحتوى الأساسي في ويكيبيديا العربية يتبلور ويكتسب مستوى احترافياً لائقاً، ونمت قاعدة المحرّرين بشكلٍ مطرد.

تزايدت جودة مقالات ويكيبيديا العربيَّة بدرجة عظيمة بعد سنة ٢٠١٠، فعوضاً عن أن تكون مُجرَّد بوابة يستعملها الناس للوصول إلى النسخة الإنكليزية، أصبحت موسوعة حقيقية تُغطي مُعظم المواضيع الأساسية عن المعرفة بطريقة مُمتازة. فمع أنَّك قد لا تجد مقالة عربية جيِّدة عن كل موضوعٍ تفكر بالبحث عنه، إلا أنَّ المقالات الأساسية والمُهمَّة (والتي تتلقى أعداداً كبيرة من الزيارات)، أصبحت -في مُعظمها- على مستوى لائقٍ جداً من حيث الحجم والتوثيق واللغة.

منذ سنة ٢٠١٣ بدأ مُجتمع ويكيبيديا العربيَّة بالانتقال إلى مرحلة جديدة، فبدلاً من الاقتصار على العمل الإلكتروني على صفحات الموسوعة، بدأنا بتشكيل مُجتمعاتٍ نشطة حقيقيَّة وبتنظيم اللقاءات والاجتماعات والمناسبات على أرض الواقع.

فقد ظهرت في العالم العربي واحدة من أنجح إصدارات "برنامج ويكيبيديا للتعليم"، وشارك عددٌ كبير من الدول العربيَّة بمسابقة الويكي تهوى المعالم (أكبر مسابقة تصويرٍ في العالم)، عدا عن أنَّنا نظَّمنا مؤتمرَين إقليميَّين لويكيبيديا في المنطقة العربية سنة ٢٠١٥ في تُونس ومن ثمَّ في ٢٠١٦ بعمَّان.

ب. عن الوضع الحالي لويكيبيديا العربيَّة

بما أنَّني كنتُ عضواً نشطاً في ويكيبيديا العربية خلال قسمٍ كبيرٍ من تاريخها، فقد رأيتُ من المناسب أن أعطي رؤية عن الوضع الحالي لهذه الموسوعة مُقارنةً بما كانت عليه في الماضي، ومقارنةً بمُنافساتها من اللُّغات الأخرى.

كنُقطة بداية، فإنَّ ممَّا يستحقُّ الحديث عنه أنَّ مُجتمع كُتَّاب ويكيبيديا العربيَّة له توجّهاتٌ خاصَّة مرَّت بتغيُّراتٍ جوهريةٍ خلال السنين الماضية. لقد كان مُجتمع الويكبيديِّين العرب -لسنوات كثيرة- في حالة خلافٍ بين رأيين أو وجهتي نظرٍ أساسيَّتين، يتمثَّلان بتيار "الحذفيين" وتيار "الحمائم" كم نسمّيهم.

فالأول يسعَى إلى رفع المستوى العام لمقالات ويكيبيديا، بحيثُ يرى أنَّ لا بأس في سبيل ذلك الهدف من التخلُّص من بعض المقالات الرديئة وحذفها (ومن هُنا الاسم!)، ويرى أنَّ الأولوية في ويكيبيديا هي دائماً أن تُقدِّم المقالات محتوى مُفيداً وشاملاً، وأما النَّقصُ في عددها فهو ليس بأمرٍ ذي أهمية. وأما التيار الثاني فهو يدعو إلى الحفاظ على كلِّ ما في ويكيبيديا من مقالات بصفتها محتوى مُفيداً، ويرى بأنَّه لا بأس بإنشاء أعدادٍ كبيرةٍ من المقالات القصيرة في سبيل رفع عدد مقالات ويكيبيديا العربية وتحسين ترتيبها بين اللُّغات الأخرى.

في الحقيقة، كان طُغيان تيار "الحمائم" على مُجتمع ويكيبيديا العربية سبباً رئيسياً في كثرة المقالات القصيرة فيها، أو "البذور" كما نصطلح على تمسيتها في الموسوعة، خلال سنواتها الأولى. فمرَّات ومرَّات، أنشئت في ويكيبيديا العربية آلاف المقالات بطريقةٍ آلية بهدف رفع ترتيبها بالنسبة للغات الأخرى فحسب، بحيث أنَّه في سنة ٢٠٠٩، رُبَّما كان ٤٠ أو ٥٠٪ من مقالات ويكيبيديا العربية منشأة ببرامج حاسوبية أو بطريقة كمية، وليسَ كمقالاتٍ موسوعيَّة مُفيدة. كانت تأتي هذه المقالات على صُورة حملات تدعو المُجتمع إلى تحقيق أهدافٍ مُعيَّنة، مثل "كسر حاجز الخمسين ألف مقالة"، وهو شعار حملة تسبَّبت بإنشاء عِدَّة آلافٍ من المقالات القصيرة في نهاية عام ٢٠٠٧.

عند نُقطةٍ ما، ظهرت في مُجتمع الموسوعة العربية فئة مُعارضةٌ لمثل هذه الحملات، فقد كانت ضدَّ أيِّ توجُّه هدفه زيادة عدد المقالات أو رفع ترتيب ويكيبيديا العربية، ففي نظر "الحذفيين"، كان الأمر الأكثر أهميَّة هو جودة المُحتوى. مع ظُهور الحذفيين أصبح لدينا في الموسوعة تيَّاران مُختلفان لُكلٍّ مُنهما توجهاته الخاصَّة به، ممَّا أشعل صداماتٍ ونقاشاتٍ إلكترونية طويلة جداً بين الطرفين. أحد هذه النقاشات شاركَ فيه حوالي ٥٠ شخصٍ في ويكيبيديا، وأخذ ثمانية شُهور، وكُتبت خلاله كميَّة من النصُّوص تُعادل أكثر من مائة صفحة A4 مطبوعة، أو حوالي ثلاثين ألف كلمة. كان ذلك، للمُناسبة، أطول نقاشٍ في تاريخ ويكيبيديا العربيَّة.[٤]

(٤) سأعتقد أنِّي ذكرتُ هذا النقاش عِدَّة مرات خلال الكتاب، لأني أجدهُ مثالاً مثيراً للاهتمام على الحدِّ الذي يُمكن أن يهتمَّ فيه الويكيبيديُّون بأمر موسوعتهم، بحيث يصرفون هذه الكميَّة من الوقت في مُناقشة أتفه تفاصيلها. لمن يُهمّه الأمر، فإنَّ الجُزء الأكثر أهميَّة من النقاش مؤرشفٌ ومُتاحٌ للقراءة.

كانت النقاشات التي من هذا النَّوع مسألة الحديث و"الهمهمة" الأبرز بين أفراد ويكيبيديا العربيَّة لعِدَّة سنوات، إلا أنَّها هدأت مع الوقت، واضمحلَّت بنفسها، ولكنها تركت أثراً مُهماً على الموسوعة. فمع أنَّ مُعظم تلك النقاشات لم تُؤدِّي إلى نتيجة، إلا أنَّ بعضها نجحت بالتوصل إلى تسوياتٍ لحذف أو دمج عِدَّة آلافٍ من المقالات القصيرة الباقية على ويكيبيديا العربية، وفي المُقابل، فقد اختفت الحملات التي تدعو إلى رفع عدد المقالات على حساب جودتها، وأصبح هُناك اهتمامٌ كبيرٌ بزيادة المقالات الطويلة وذات الجَودة المُرتفعة، وبتقصي المقالات الرديئة وحذفها.

كان هذا التسلسل من الأحداث في الحقيقة جُزءاً مهماً من تاريخ ويكيبيديا العربية، وكان له دورٌ أساسيٌّ في بلورة مُجتمعها الحالي وتحديد أولويَّاته في تطوير هذه الموسوعة.

في الوقت الحاضر،[٥] يُعطي مؤشِّر ويكيبيديا للعُمق ٢٣٣ نُقطة،[٦] ممَّا يجعلُ ترتيبها هو الخامس -من حيث الجودة- بين جميع النُّسخ الأساسية من ويكيبيديا. ومع أنَّ هذا الرَّقم قليلٌ جداً بالنسبة لويكيبيديا الإنكليزية، التي يُعادل عمقها ٩٥٠ نُقطة، إلا أنَّ ترتيبها الهائل يُثبت أن الموسوعة العربيَّة أصبحتْ من أفضل نُسخ ويكيبيديا في السَّعي لمُستوى المقالات وجودتها. ومع أنَّك قد لا تشعرُ بذلك، إلا أنَّ عليك أن تُدرك أن ويكيبيديا العربية بدأت تُصبح مُتميِّزة بين نسخ ويكيبيديا الأخرى من حيثُ جودة المحتوى وشُموليَّته، حتى ولو كان عددُ مقالاتها قليلاً نسبياً.

(٥) أُخِذَ هذا الإحصاء في شهر يوليو عام ٢٠١٦، وهو عُرضةٌ للتغيُّر باستمرار.

(٦) بالإنكليزية Depth، وهو معيارٌ تُقارن به لغات ويكيبيديا المُختلفة للحُكم على جودة محتواها بدلاً من عدد مقالاتها.

الكثيرون لا زالوا يعتقدون أن ويكيبيديا العربية سيئة جداً ولا يمكن الاعتماد عليها في شيء. لكن كشخصٍ متابع لنسخ ويكيبيديا ومجتمعاتها بجميع اللغات، أعتقد -في الحقيقة- أن النسخة العربية أصبح ممتازاً جداً الآن. أعلمُ أن معظم المقالات لدينا سيئة، لكن المواضيع المهمة التي تحتاجُ للتوثق منها في موسوعة هي، بمعظمها، في حالة ممتازة الآن. حاول تصفّح مقالات ويكيبيديا العربية المُختارة، وستجد نماذج مذهلة على ذلك.

على كلّ حال، اسمح لي ولكن لو كنت تعتقدُ أن ويكيبيديا العربية لا تصلحُ لمراجعة أي معلومة، فهذه مسؤولية تقع على عاتقك أنت. ويكيبيديا قائمة على الجهود التشاركية للجميع، ولو كانت نسختها الخاصة بلغتك أقلَّ من أن ترضيك، فذلك يعني أن كلَّ من يتحدث هذه اللغة، بما فيهم أنت، غير قادرين على جعلها لائقة.

كيف تُدَار ويكيبيديا؟

ا. من يمتلك ويكيبيديا؟

رغم أنَّ مُعظم متصفحي الإنترنت الآن يستعملون ويكيبيديا في حياتهم اليومية، إلا إنَّ الغالبية العظمى منهم بالكاد يعرفون كيف وصل هذا الصَّرح المعرفيُّ إليهم. عندما كنت أحدّث الناس عن ويكيبيديا، كان أحد الأسئلة الأزليَّة الأكثر تكراراً -والأكثر كرهاً إلى قلبي- هو: "من يدير ويكيبيديا؟ من هي الشركة المسؤولة عنها؟"، حتى أني سئلتُ مرَّاتٍ لو كانت ملكاً لشركة غوغل أو مايكرسوفت. الغريب في الأمر هو أنَّ كل شيءٍ في الموسوعة واضح، فالشعار الذي يظهر على كلِّ صفحةٍ من صفحاتها يخبرك بأنها "الموسوعة الحرَّة"!

حسب تصوري، لا زال الكثير من الناس أو معظمهم غير قادرين على استيعاب المبدأ الذي تقوم عليه ويكيبيديا. ربَّما يعود ذلك إلى انتشار عقلية النظام رأس المالي الحديث، الذي رسَّخ في عقول الناس أنَّ كل شيءٍ في العالم لا بُدَّ وأن يكون ملكية خاصَّة بشخصٍ أو مؤسَّسة ما، لكن ما يجعل ويكيبيديا متميّزة، هو أنها تناقض هذه القاعدة بصُورة تامَّة. ويكيبيديا ملكٌ للجميع، وليس لأحدٍ حقٌّ أو سلطة فيها أكثر من باقي الناس. ما من شخصٍ ولا منظمة ولا دولةٍ قادرة على احتكار هذه الموسوعة.

الأمر هو أن ويكيبيديا هي هبةٌ للبشر، فهي حرَّة من كل القيود، ولا تتبع أيّ جهة في العالم. قد تبدو هذه الفكرة صعبة على التقبُّل، فقد تعتقد أن فيها طابعاً خيالياً بعض الشيء، لكنها الحقيقة التي نجحنا بجعلها واقعاً. في كل مرة أتحدث فيها عن ويكيبيديا، لا بُدَّ أن أقضي نصف الجلسة وأنا أحاول أن أقنع الأشخاص الذين أمامي بأنهم لم يسمعوا كلامي خطأ. وأنّي أعني ما أقول. فويكيبيديا فعلاً ليست ملكاً لأيّ أحد.

إلا أنَّ ما يحدث دائماً هو أنه وبعد دقائق معدودة من إغلاق الموضوع، وهي عمليَّة تستغرق كفاحاً طويلاً مضنياً، سأفاجأ بأحدهم يأتي مرَّة أخرى ويطرح سؤالاً يُشبه: "لكن أليس مالك ويكيبيديا هو جيمي ويلز؟".

والواقع أنَّ جيمي ويلز كان بالفعل صاحب ويكيبيديا، لفترةٍ من الفترات على الأقلّ، إلا أنَّها لم تدُمْ طويلاً. خلال عِدَّة شُهورٍ من تأسيس الموسوعة وُضِعَ نظامٌ لإدارتها يقوم على الاكتفاء الذاتيّ، فعِوضاً عن وُجود شخصٍ أو هيئةٍ مُعيَّنة تتولَّى الإشراف على ويكيبيديا، تُرِكَت هذه المَهمَّة لتكون مسؤوليَّة متبادلة بين جميع الأشخاص المُساهمين فيها، وتنازل مُؤسِّس الموسوعة عن أيِّ سُلطةٍ أو قرارٍ له بمحتواها.

وبعد ثلاث سنواتٍ من تأسيس ويكيبيديا، كَوَّن جيمي ويلز مُنظَّمة تُسمَّى "مؤسَّسة ويكيميديا" (Wikimedia Foundation)، الهدف منها جمع التبرُّعات والإشراف على الجوانب التقنية، مثل تشغيل خوادم ويكيبيديا ودفع نفقاتها، وعدا عن ذلك، ليس للمؤسَّسة الحقُّ في التدخل بأي مسألةٍ تخصُّ مُحتوى ويكيبيديا أو قوانينها أو مقالاتها. ومع أنَّ جيمي ويلز كان مُدير مؤسَّسة ويكيميديا في البداية بعدَ تأسيسها، إلا أنَّه تخلَّى عن هذا المَنصب نفسه في سنة ٢٠٠٦، ومُنذ ذلك الحين، ليس لجيمي ويلز أيُّ دورٍ بالنسبة لويكيبيديا سوى الترويج لها والحديث عنها في المحافل العامَّة.

من المُمكن أن تتبادر إلى ذهنك أسئلة أخرى تترتَّب على حقيقة عدم تبعيَّة ويكيبيديا لأحد، فكيف يُمكن أن تدار ويكيبيديا؟ ومن يُشرف على مقالاتها ويضمن صحَّتها؟ هناك، بالطبع، نظام لإدارة ويكيبيديا، لأن موسوعة بهذا الحجم -وكونها تُرحِّب بمشاركة أي شخصٍ في العالم- تحتاج إلى نوعٍ من الأنظمة لضبطها، لكن الطريقة التي تعمل بها غير تقليدية أبداً.

النظام الذي تتبعه ويكيبيديا في عملها ليس اختراعاً صمَّمه شخصٌ مُعيَّن، بل هو شيءٌ ظهر وحده عندما دعت الحاجة إليه، وتطوَّر على مرِّ الزمن بفضل جهود عددٍ كبير جداً من الويكيبيديِّين المُهتمِّين بأمر الموسوعة. مع أنَّ هذا النظام وُلد بطريقة عفويَّة تماماً، إلا أنِّي أعتبره واحداً من أكثر الأنظمة البشرية التي عرفتها في حياتي عبقريَّة وكفاءة.

ليس لأنَّه مُعقَّد كثيراً أو لأنه إبداعي جداً، لكن لأنه نجح في أن يُطبِّق على أرض الواقع (أو في فضاء الإنترنت) عدداً لا يُستهان به من الأفكار التي سيتخيَّل مُعظم الناس أن تطبيقها مستحيلٌ في عالمنا. أوَّلها هو السَّماح لأيِّ شخصٍ في العالم بتعديل مقالاتها، والتمكُّن، رغم ذلك، من الحفاظ على مقدارٍ مذهل من الجودة والكفاءة.

ثمَّة مبدأ جوهريٌّ واحدٌ يقوم عليه هذا النظام: المحور الرئيسي والحكم الأخير في كلِّ شؤون ويكيبيديا، والذي يتخذ جميع القرارات الحاسمة في الموسوعة، ليس شخصاً ولا مجموعة من الأشخاص. بل هو المجتمع، أي جماعة المُساهمين في ويكيبيديا كلُّهم معاً.

قد لا تكون كلمة المجتمع واضحةً كثيراً بالنسبة إليك، لكن إن حصل يوماً وأن ساهمتَ في ويكيبيديا أو تعرَّفت إلى مجموعة من الويكيبيديِّين، سيكون هذا واحداً من أول المصطلحات التي عليك التعرُّف إليها. ما نعنيه بالمجتمع في ويكيبيديا هو أيُّ شخصٍ يُساهم في مقالات الموسوعة أو يهتمُّ لأمرها. ذلك لا يعني أنَّ عليك القيام بمهامَّ معيَّنة أو كتابة مقالاتٍ مثلاً.

لا، مجرَّد كونك شخصاً مهتماً بويكيبيديا سيسمح لك تلقائياً بأن تكون جزءاً من المجتمع، كلُّ ما عليك فعله هو أن تدخل واحداً من نقاشات ويكيبيديا وتدلي برأيك فيه، وستكون قد أصبحتَ عضواً في المُجتمع!

رغم أن نظام سلطة المجتمع هذا، واستقلالية الموسوعة التي ليست ملكاً لأحد، قد يبدوان غريبين جداً للوهلة الأولى، إلا أنَّهما أثبتا على أرض الواقع نجاحاً تاماً باهراً. منذ نشأة ويكيبيديا وحتى الآن، بعدَ مُرور أكثر من ١٦ عاماً، لم يسبق وأن تمكَّن أحدٌ من احتكار الموسوعة، أو ابتزاز المجتمع، أو فرض قرارٍ من أيّ شكلٍ عليها، وهذه حقيقةٌ مُوثَّقة.

ويكيبيديا مستقلّة تماماً، وقادرةٌ على الاستمرار بذلك. برأيي الشخصيّ وبعد تجربة سنواتٍ في ويكيبيديا، أعتقد أنَّ نظام إدارة الموسوعة يُمثِّل تصميماً عبقرياً بمعنى الكلمة. وهو تجربة تستحقُّ أن تروى وأن يتعلَّم منها الناس. فمجرَّد قدرة شيءٍ بحجم وقوة ويكيبيديا على الصُّمود باستقلالية كل هذه السنوات هو نجاح مذهل، في عالمٍ مثل عالمنا الذي يسيطر عليه الاحتكار والرأسماليَّة.

٢. النقاش

سبق وأن ذكرتُ أنَّ الحلَّ لجميع مُشكلات ويكيبيديا هو النقاش بين أفراد المُجتمع، والدَّوْرُ الذي يلعبهُ هذا الأمر في تشكيل فكرة ويكيبيديا جوهريٌّ جداً، بحيث قد يحتاجُ إلى توضيحٍ أكبر. في ويكيبيديا، عند وجود أيّ قرارٍ خلافيّ، أو مسألة بحاجةٍ إلى حلّ، فإن الوسيلة التي نلجأ إليها لحسم المشكلة هي دائماً النقاش.

فما يحصل هو أن المشكلة تُطْرَحُ في مكانٍ عامّ، ويقوم جميع محررو الموسوعة بإبداء آرائهم حولها، يمكن لأيّ شخصٍ المشاركة في هذا النقاش، يمكنك أنت المشاركة فيه، ويمكن لأي شخصٍ يُريد كذلك. لكن بعد انتهاء النقاش. لن يقوم أحدٌ بجمع الأصوات أو إعلان نتيجةٍ نهائية، بل يجب على أيّ قرارٍ أن يُتَّخذ بالإجماع.

الواقع هو أنَّ حساب الأصوات لحسم مُشكلةٍ ممنوع، والسبب في ذلك هو أن إحدى قواعد ويكيبيديا الأساسية تنصُّ على أنها ليست اختباراً للديمقراطية، فنحنُ لا نؤمن بأنَّ التصويت هو الوسيلة المثلى لاتخاذ القرارات الخلافية، عوضاً عن ذلك، لا بد للجميع أن يحاولوا الوصول إلى حل توافقيّ ووسطيّ يرضي جميع الأطراف، وإن لم ينجح ذلك، فمن الأفضل أن تُؤجَّل المشكلة إلى وقتٍ لاحق أو أن تبقى مُعلَّقة إلى أجلٍ غير مُسمَّى.

بالتأكيد، الاعتماد على الإجماع لا يعني أنَّ وجود معارضٍ واحدٍ للقرار كتب: "أنا ضد" ثم اختفى سيبطل العمليَّة بأكملها، لأن التوافق لا بد أن يأتي بعد نقاش، وهذا النقاش لا بد أن يعتمد على حججٍ معقولة. بهذه الطريقة، إن كانت لدى أحدهم نقطة جوهرية أو قوية للاعتراض على إجراءٍ ما، فسيكون اعتراضه كفيلاً بإيقاف كلِّ الموسوعة عن اتخاذ قرارٍ خاطئ.

مع أنَّ هذه الآلية في تسيير الأمور قد تبدو غير موثوقة، لأنَّها قد لا تستطيع حسم كثيرٍ من المُشكلات بالسُّرعة المطلوبة، إلا أنَّ المُدهش في الأمر هو أنها تعمل! في الحقيقة، تطبيق هذه الآلية يُجبر الناس (ضمنَ الظروف الخلافية) على أن يستمرُّوا بمُناقشة المشكلة بعُمق شديدٍ حتى لو فقدوا الرغبة بذلك، لأنه لا يُوجد حل سريعٌ أو سهلٌ مثل التصويت ولا وُجود للجانٍ إدارية يُمكنها حسم الخلاف بقرارٍ سريع: وإنَّما الوسيلة الوحيدة لحل المشكلة هي الاستمرار بالنقاش. فعلياً، يُساعد هذا النظام، على المدى الطويل، بإيجاد حلولٍ وسطيَّة للغالبيَّة العُظمى من الخلافات، وقد ساعد ويكيبيديا العربيَّة مرَّات كثيرةً على تطوير قوانينها وجعلها ملائمة أكثر لعامَّة المُجتمع.

كلُّ مسألةٍ في ويكيبيديا هي عرضةٌ لنقاش مُحتمل. فعند تغيير شعار ويكيبيديا العربية للاحتفال باجتياز رقم الـ ٤٠٠,٠٠٠ مقالة في شهر ديسمبر سنة ٢٠١٥، حصل نقاشٌ عن الشعار، وعن كيفية تصميمه، وعرضَ عدَّة مُساهمين تصميماتٍ أوليَّة لما قد يبدو عليه الشعار، ومن ثمَّ أبدا أعضاء المُجتمع رأيهم في التصاميم، وتوافقت الأغلبية على واحدٍ منها، فاستجاب أحدُ الإداريِّين لقرار المُجتمع وأجرى عملية التغيير.

قبل سنتين ظهر اقتراحٌ لتغيير تصميم الصفحة الرئيسية لويكيبيديا العربية، وكان ثمَّة عددٌ من الأشخاص الذين يصعبُ عليهم الابتعاد عن ما تعوَّدوا عليه (مثلي) والذين حاولوا مُعارضة الاقتراح، لكن الغالبية العُظمى من أعضاء مجتمع ويكيبيديا العربيَّة أيَّدوا فكرة تغيير التصميم، لذلك لم تكن بيدنا حيلة. جرت مُسابقة صنع خلالها متطوعون خمس تصاميم تجريبيَّة للصَّفحة الجديدة، وسُرعان ما أبدا الويكيبيديُّون آرائهم واختاروا أحدها بعد طلب عددٍ من التعديلات عليه، وهو التصميم الذي تظهر به الصَّفحة الرئيسية العربية الآن.

تحت أيّ ظرفٍ من الظروف وفي أيّ حالٍ من الأحوال، فإنَّ سلطة المجتمع في ويكيبيديا هي دائماً وأبداً السلطة العليا التي لا يعلو عليها أحد. قبل سنوات عدَّة، عندما انتهجت مؤسسة ويكيميديا الداعمة للموسوعة سياساتٍ لم تلقى موافقة مجتمع المحرّرين الألمان، هدَّدت ويكيبيديا الألمانية على الفور بالانسحاب من نطاق "wikipedia.org" والانتقال إلى خوادم ونطاقٍ خاصَّين بها، وبالفعل، نجح هذا التهديد بدفع المؤسسة إلى التراجع.

في سنة ٢٠١٣ أعلنت مؤسسة ويكيميديا عن إطلاق خاصِّية جديدةٍ في الموسوعة استغرق تطويرها شهوراً طويلة، تدعى "المحرّر المرئي"،[٧] وبدأ تطبيق هذه الخاصية بشكلٍ افتراضي لجميع محرّري ويكيبيديا في شهر يوليو من ذلك العام. إلا أنَّ الخاصية كانت لا تزال تحت التطوير، وكانت فيها مشاكل تقنيَّة عديدة كان قد أبلغ عنها مساهمو الموسوعة، إلا أنَّ القليل منها هو الذي عمل المطوِّرون على حلِّه.

عندما فُعِّل المحرر المرئي على ويكيبيديا دون سابق إنذارٍ وبدأت تعديلات سيّئة بالظهور بسببه وبسبب مشاكله التقنية على جميع مواقع الويكي، احتجَّ الويكيبيديون احتجاجاً عنيفاً، وقرَّ مُجتمع ويكيبيديا الهولندية فوراً تعطيل الخاصية، ثم بدأت حركة عامَّة -في كافَّة لغات ويكيبيديا- لجمع الاعتراضات والاحتجاجات.

تشكلت حملة معارضة كبيرة، وتمخَّض عنها نقاش عملاقٍ على ويكيبيديا الإنكليزية دام لأسابيع وشارك فيه حوالي ألف شخص كتبوا خلاله أكثر من ٤٠,٠٠٠ كلمة (ما يعادل حجم كتاب)، وفي آخر الأمر اضطرَّت المؤسسة إلى الخنوع وتعطيل الخاصية، وبدأت العمل على علاج المشاكل المتعدِّدة التي كان قد سبق الإبلاغ عنها دون استجابة. منذ ذلك الحين، تعد عبارة "المحرر المرئي" واحدةً من أكثر العبارات إثارةً للجدل والخلاف في ويكيبيديا!

(٧) المحرر المرئي (Visual editor) هو خاصية تسمح بتحرير ويكيبيديا بطريقةٍ تشبه البرامج النصية كالوورد وغيره، إذ ترى ما تعدّله مباشرةً أمام ناظريك، على عكس واجهة التحرير الحالية التي تعتمد لغة html. من الجدير بالذكر أن المحرر المرئي أصبح الآن الطريقة الافتراضية لتعديل أي مقالة في ويكيبيديا، فقد تمَّ حل جميع مشاكله وتطوير واجهته، ويُوجد اتفاق عام عليه الآن في مجتمع ويكيبيديا العالمي.

٣. من تحقُّ له كتابةُ المقالات؟

هناك مسألة يكثر أن يسيء فهمها الناس عن ويكيبيديا، وهي قدرة الأشخاص الجُدد على تعديل محتوى المقالات وتغييره. مثلما أن ويكيبيديا موسوعة للجميع، فهي موسوعة يصنعها الجميع أيضاً.

ليست هناك قيودٌ من أيِّ شكلٍ على من يمكنه الكتابة في ويكيبيديا: أيُّ شخصٍ في العالم يمكنه كتابة مقالةٍ على ويكيبيديا، وعندما أقول ذلك. فإنَّني أعنيه حرفياً. حتى طفل في الخامسة من عُمره ليس ممنوعاً من تعديل مقالات الموسوعة،[٨] ومع أنَّ تعديلاته لن تكون مفيدةً غالباً وستتمُّ إزالتها خلال فترة قصيرة، لكن لا يوجد -من حيث المبدأ- ما يمنعه من أن يكتب.

ومن يدري، لعلَّ طفلاً عبقرياً في سنّ الخامسة يُقدِّم لنا يوماً محتوى أفضل من بعض القمامة التي يقدمها لنا في أحيانٍ كثيرة أشخاصٌ يزعمون أنَّهم دكاترة عظامٌ في الأدب والعلوم تخرَّجو من جامعاتٍ عالميَّة.

من الطبيعيِّ أن تتساءل عمَّا إذا كان يوجد أسلوبٌ ما للتحقُّق من الدقة العلمية والأكاديمية لما يُكتَب في الموسوعة، ومع أنَّني سأتحدث أكثر في هذا الموضوع بالقسم اللاَّحق من الكتاب، لكني أود أن أكون واضحاً من الآن بأنَّه لا يوجد أيُّ شكلٍ من أشكال الرقابة أو التدقيق المنظَّم على مقالات ويكيبيديا من الناحية العلمية والأكاديمية، ولا يوجد أيُّ شخصٍ في الموسوعة مخوَّل لقبول المقالات أو رفضها على أساس صحَّتها أكاديمياً.

---

(٨) الاستهانة بتعديلات صغار السن هي واحدةٌ من الافتراضات المُسبقة السيِّئة التي يُمكن أن يضعها الناس. مع أنَّه من الصَّعب توفير إحصائية، لكنني متأكدٌ بعد قضائي وقتاً في الموسوعة أن نسبة جيِّدة من المُساهمات القيِّمة فيها تأتي من طُلابٍ في المرحلة المدرسية. بالحقيقة، أنا شخصياً قمتُ بتعديلي الأول على ويكيبيديا وأنا في التاسعة، كان ذلك منذ ١١ سنة تقريباً (مع أنَّه... ربَّما، لم يكن من أفضل مساهماتي!).

ومع أنَّنا نهتمُّ كثيراً بدقَّة مقالات الموسوعة ونُرحِّب بالإبلاغ عن أيّ خطأ جليٍّ تراه في إحدى المقالات (والذي يُمكنك كذلك تصحيحه بنفسك)، لكنَّنا -ولأسبابٍ مختلفة- لا نرى أن من المناسب تشكيل لجنة متخصِّصين أو شيءٍ من قبيل ذلك في ويكيبيديا. هل هذا أمرٌ سيِّء؟ بعض الناس يعتقدون ذلك، لكن على أساسٍ نظريٍّ فقط، وأما على الأساسي العملي فهو لا يبدو سيِّئاً على الإطلاق. لو أردتَ الدليل على ذلك، فهو مُوضَّح بالتفصيل في قسم دراساتٌ علميَّة عن دقَّة ويكيبيديا في الفصل السادس من هذا الكتاب.

مع أنَّ جميع الناس مخوَّلون بنفس الدرجة لتغيير محتوى مقالات ويكيبيديا، لكنَّ ثمة هرماً مُعقَّداً بعض الشيء للصلاحيَّات فيها. هُناك الأشخاص الذين نُسمِّيهم "الإداريين" و"المحررين" و"المُضيفين"، وهُم يمثلون الفئة العُظمى من الأشخاص غريبي الأطوار المُدمنين على الكتابة في ويكيبيديا، وقد يكون هؤلاء الأشخاص (القليلين جداً في العدد) مسؤولين عن إنتاج النسبة الأكبر من محتوى الموسوعة. لكن إن كنَّا نريد متجمعاً يكون الجميع فيه متساوين، ولا تعلو فيه سلطة على كلمة الجماعة، فكيف يُمكن إعطاء صلاحيَّات خاصة لفئة محدودة من الناس؟

بالتأكيد، هناك مشكلات كثيرةٌ لا بد أن تواجهها موسوعة يمكن لأي شخصٍ في العالم تعديل مقالاتها: من أهمِّها التخريب والتعديلات غير البنَّاءة. فلا بد لموقع مفتوح للتحرير لكل البشرية بكلِّ فئاتها الاجتماعية والثقافية والعمرية أن يجتذب -قبل كلّ شيء- أشخاصاً يحبُّون العبث واللهو، سيقومون بإفساد مقالات الموسوعة باستمرار، وقد يصنعون الكثير من الصَّفحات البلهاء والتافهة التي لا تفيد ويكيبيديا في شيء. يُمكنك أن تقابل مُراهقين يحاولون نشر سيرهم الذاتية إلى شركاتٍ تريد الدعاية لمنتجاتها السخيفة، وللتعامل مع هذه المشكلات والكثير مثلها، وفي الآن ذاته تجنُّب وضع أدواتٍ حساسة بين أيدي أشخاصٍ غير مسؤولين، فلا بد من وجود نظام هرميٍّ للصلاحيات في ويكيبيديا.

ينقسم مجتمع ويكيبيديا حسب صلاحيات الوصوليَّة إلى عدة مجموعات.

- المستخدمون المجهولون (من يعدِّلون مقالةً دون تسجيل حساب)، وصلاحيتهم هي ببساطة تعديل المقالات، لكنَّ تعديلاتهم تظهر تعتبر "تعديلات معلَّقة" حتى يراجعها مستخدم أكثر موثوقية.

- يوجد المستخدمون المسجلون والمؤكدون، وهم من سجلوا حساباتٍ في الموسوعة وقاموا بعددٍ بسيط من التعديلات، فهؤلاء يكتسبون تلقائياً بضع أدواتٍ بسيطة أخرى: يمكنهم نقل المقالات (تغيير أسمائها)، ورفع الصور، وتكون لهُم بالتالي معظم الصلاحيات الأساسيَّة التي يحتاجونها للعمل على المقالات.

- المحرّرون، وهم غالبية المجتمع النشط من المساهمين بويكيبيديا، وهؤلاء لا يمكن اكتساب صلاحيتهم إلا بموافقة شخصية من إداري، والمعيار في ذلك أن يكون من الممكن الوثوق بتعديلاتهم. وتكون تعديلات المحررين مراجعةً تلقائياً، أي أنها تظهرُ على النسخة النهائية من مقالات ويكيبيديا فور إجرائها. كما أنَّ بإمكانهم قبول تعديلات المستخدمين المجهولين والجدد المعلَّقة في المقالات. إلى جانبهم، توجد عدة صلاحيات متخصِّصة بتسهيل العمل في مواضع تفصيلية سيطولُ شرحها.

- الإداريُّون، وهم السلطة المسؤولة عن معظم مهام الصيانة الحسَّاسة في ويكيبيديا، مثل حذف المقالات المخالفة، وحظر المستخدمين المخرّبين، وحماية المقالات التي تتلقَّى تخريباً متكرّراً، إضافة إلى معظم مهام الصيانة. الإداريُّون هم الفئة الأكثر حساسية في المُجتمع، لذا لا يُمكن أن يصل إليها إلا شخصٌ موثوقٌ تعرفه الغالبية العُظمى من مُساهمي ويكيبيديا معرفةً جيدة، ويكون في العادة قد قضى سنواتٍ طويلة بالموسوعة.

- البيروقراطيين،[٩] هي مجموعة لها سلطة أعلى فوق الإداريين، ليست لها مهامٌّ كثيرة، لكنها تعمل كصمام أمانٍ إضافي أكثر موثوقية، وللبيروقراطيين صلاحية واحدةٌ أساسيَّة فحسب: وهي ترقية الإداريين الجدد.

يوجد حالياً على ويكيبيديا العربيَّة أكثر من نصف مليون مستخدمٍ مسجَّل، وعدَّة آلاف من المحررين، و ٣٣ إدارياً، و ٦ بيروقراطيين. آخر أربعين شخصٍ من هؤلاء هُم المسؤولون عن الحفاظ على النظام في موسوعتنا، والباقون هُم من يصنعون المحتوى والمقالات.

رغم كل هذا، فإنَّ البيروقراطيين ليسوا السلطة الإدارية العليا في ويكيبيديا. السلطة الأعلى على الإطلاق هي فئة تسمى "المضيفين" (Stewards)، وهم مختلفون نوعياً عن جميع الفئات السابقة. فكل الصلاحيات التي سبقَ لي ذكرها هي صلاحيات "محلية"، بمعنى أنك لو ترقَّيت إلى إداريّ على ويكيبيديا العربية مثلاً، لن يكفي ذلك لجعلك تختلف شيئاً عن أيّ مستخدمٍ جديد على ويكيبيديا الألمانية، وبالمثل، لن يختلف إداريٌّ ألماني عن أي مستخدم جديد آخر في ويكيبيديا العربية.

لكن بالنسبة للمضيفين، فإن صلاحيتهم عالمية، أي أنَّها فعَّالة في كل ويكيبيديات العالم بجميع لغاتها، وهؤلاء لا يحصلون على صلاحيَّاتهم إلا عبر انتخاباتٍ منظَّمةٍ تقام في بداية كل عام، ويشارك بها مئات الويكيبيديّين لانتخاب الجيل القادم من المضيفين. لا يُمكن للمضيف أن يحتفظ بصلاحياته أكثر من سنةٍ واحدة، ففي بداية كل عام تُسحَب الصلاحيات من جَميع المُضيفين الحاليِّين، ولا يُمكنهم أن يسترجعوها إلا لو فازوا بالانتخابات مرَّة أخرى.

---

(٩) أعلم أن مُصطلح "البيروقراطي" قد يبدو غريباً جداً، لكنه تعريبٌ بسيط للمصطلح الإنكليزي الدَّارج لهذه الصلاحية وهو الـ"bureaucrat".

لا يعني وُجود نظام الصلاحيات الهرميّ هذا أنَّ لدى هؤلاء الأفراد الإداريين سلطاتٍ عالية يتفرَّدون بها، وبالحقيقة فهو لا يُعطيهم أي قدرةٍ إضافية على التحكم بويكيبيديا ولا فرض رغباتهم عليها. الإداريُّون والبيروقراطيون هم بالأساس مجرَّد مساهمين من مجتمع الموسوعة، عندما كسبوا ثقة المجتمع بعملهم الدؤوب والحثيث، قرَّر أن يأتمنهم على أدواتٍ حسَّاسة لا يمكن منحها لأيّ كان. لكن، إذا ما خان أيٌّ من هؤلاء الأمانة التي أعطيت إليه أو أساء استعمال صلاحيَّاته. فإن المجتمع قادرٌ بسهولةٍ على سحب هذه الصلاحيات منه مثلما أعطاه إيَّاها أول مرة.

بطبيعة الحال، يستغرق الوصول إلى مثل هذه الصلاحيات سنواتٍ من النشاط الدؤوب في ويكيبيديا، وبالأساس فإنَّ معايير الإدارة تنجح تلقائياً بالتخلُّص من معظم الأشخاص الذين قد لا يكونون أَكْفَاء لاكتساب هذه الأدوات الخاصَّة، فأيُّ شخصٍ ليس مخلصاً للموسوعة ومؤمناً بفكرتها لن يصبر في حالٍ كل هذه الفترة ليحصل على الصلاحية. ناهيك عن ذلك، يوجد صماما أمانٍ إضافيَّان فوق الإداريين هما البيروقراطيون والمضيفون، فالحصول على هاتين الصلاحيتين أصعب بكثير، وقد يستغرق سنواتٍ وسنواتٍ من النشاط على ويكيبيديا.

على العموم، فإنَّ الإداريين يظلُّون بشراً، وهم دائماً معرَّضون للخطأ. من الطبيعي أن يحدث، من وقتٍ لآخر، أن يسيء أحد الإداريين استعمال صلاحياته بطريقةٍ غير مقبولة: فقد يقوم بحذف صفحةٍ لأنها لا توافق أهواءه الشخصية، أو قد يمنع مستخدماً من التحرير لخلافٍ بينهما. لكن حينما يحدث هذا يكون الردُّ صارماً تماماً من المجتمع. تحدث تجاوزات الإداريين على ويكيبيديا العربيَّة بمعدَّل مرة كل عامٍ إلى عامين،[١٠] شخصياً، أعرف على الأقل أربع حالاتٍ من هذا النوع انتهت (بعد نقاشٍ طويل يُشبه في الحقيقة المحاكمة) بإقالة الإداريين، وأحياناً بمنعهم منعاً تاماً ومُؤبَّداً من تعديل صفحات الموسوعة.

(١٠) هذا الرَّقم جاء من ذاكرتي الشخصية، لكنه مبنيٌّ على حالاتٍ بعينها شهدتها أو قرأتُها في الصفحات المؤرشفة.

في منتصف سنة ٢٠١٣ مثلاً، قام إداريٌّ في ويكيبيديا العربية بتجييشٍ مشبوه لإيقاف مساهمٍ آخر من نيل صلاحيات الإدارة، بسبب خلاف شخصيٍّ بينهما، وأخذ يراسل بعض محرري الموسوعة ويطلب منهم -سراً- الوقوف ضد ترشيح ذلك المُساهم، لكن أحد المحررين أبلغ عمّا كان يحدث، فاشتعل نقاشٌ طويل على صفحات ويكيبيديا استمرَّ لنحو أسبوعين، وانتهى باستقالة الإداريّ المدان من صلاحياته وتركه الموسوعة من غير رجعة.

٤. القانون

مثلما أنَّ ويكيبيديا بحاجةٍ للإداريين والمسؤولين، فهي تحتاج أيضاً عدداً من الضوابط الأساسية لتنظيم عملها، ومنع المخالفات والإساءات، وهي تعتمد بذلك على مجموعة من القوانين (التي نسمِّيها اصطلاحاً "السياسات"[١١])، تمثِّل بالنسبة للموسوعة ما هو أشبه بالدستور.

عند وجود أيّ مشكلةٍ أو قضية خلافية في المجتمع أو موضوع جدليّ، يكون الاحتكام دوماً إلى السياسات لحسم النزاع، وعلى الجميع الالتزام دوماً بالحُكم. ليس من حقّ أحدٍ مهما كانت رتبته أو صلاحيته أن يتجاوز السياسات، وإلا فإنَّه سيعاقب مثله مثل غيره، كما لا يحقّ لأحدٍ أن يفرض قوانين على الآخرين خارج نطاق سياسات ويكيبيديا المُعتمدة.

بالنسبة لويكيبيديا، جميعُ المسؤولين والإداريِّين هُم مجرَّد رجال شرطة مُكلَّفون بتطبيق قوانينها ومُعاقبة من يخالفها، وليس لهُم أن يتخذوا أيَّ إجراءٍ بحق شخصٍ أو مقالة ما لم تنصَّ عليه السياسات.

(١١) جمع "سياسة"، ترجمةً عن المصطلح الإنكليزي "Policy".

من البديهيّ التساؤل في هذا السياق: من هو إذاً الذي يضع سياسات ويكيبيديا؟ فمن توضع هذه الصلاحية في يده سيكون قادراً ببساطة على حكم الموسوعة والتسلُّط عليها في كل شيء، وفرض كل ما شاء عليها. لذلك، لم يوضع التحكم في السياسات وتغييرها في يد أيّ شخص. هنا، نعود مجدداً إلى الحلقة العبقرية التي تحمي ويكيبيديا دائماً من تسلط الأفراد، حيث إن صاحب الحقّ الوحيد في إصدار السياسات وتغييرها وإبطالها هو المجتمع، ولا أحد سواه.

سياسات ويكيبيديا ليست كلاماً مُنزلاً، بل هي مرنةٌ بطبيعتها، فمن المُمكن تغييرها في أيِّ وقتٍ لو دعت الحاجة إلى ذلك، لكن ولحساسية السياسات الكبيرة فإنَّ عملية تعديلها لا تكون سهلة على الأغلب، ولن تتمَّ إلا في حال وجود ضرورةٍ حقيقية للقيام بها. بإمكان أيّ شخصٍ بحسابٍ مسجّل في الموسوعة (بما في ذلك أنت نفسك لو شئت) أن يقترح تعديل إحدى سياسات الموسوعة، أو تبنّي سياسة جديدة، أو التخلّي عن سياسة موجودة.

سيطرح هذا الاقتراح في ميدان السياسات[١٢]، وهي صفحةٌ مُخصَّصة لمناقشة قوانين ويكيبيديا، وسيتحاور معك الويكيبيديُّون الآخرون حول طبيعة السياسة وسُبل تطويرها وقد يأتون بأفكارٍ جديدة لتحسينها، كما من المحتمل (من جهةٍ أخرى) أن تميل الأغلبية إلى رفض المقترح أو تحويره بدرجةٍ كبير. في كلّ الأحوال، فإنَّ الوصول إلى القرار -كما هو في كل ما بويكيبيديا- سيتطلّب الحصول على إجماع المجتمع، وقد يتطلب ذلك تعديل المقترح بصورةٍ كبيرة ليحقّق التوافق بين جميع أطياف المجتمع.

(١٢) رابط ميدان السياسات على ويكيبيديا العربيَّة

https://ar.wikipedia.org/wiki/ويكيبيديا:الميدان/سياسات

من الممكن أن تستغرق مناقشة سياسةٍ ما مدّة تتراوح من بضعةٍ أيام إلى شهور طويلة، اعتماداً على مدى حساسية الأفكار المقترحة ومدى اهتمام المجتمع بها وتباين وجهات نظر المساهمين حولها.

أطول سياسة نوقشت في تاريخ ويكيبيديا العربيَّة هي سياسة جودة بذرة المواقع الجغرافية، والتي ظلَّت موضع نقاشٍ غير منقطعٍ منذ شهر أغسطس عام ٢٠٠٩ وحتى أكتوبر عام ٢٠١٠، أي لأكثر من سنةٍ كاملة.

كانت فكرة السياسة تتمحور حول فرض شروطٍ دنيا للمقالات الجغرافية التي يمكن إبقاؤها على ويكيبيديا، حتى البذور منها، وذلك للتخلُّص من المقالات القصيرة جداً التي كان يتم إنشاؤها بأعدادٍ كبيرة، إلا أنَّ النقاش الطويل وعدم توافقيَّة أعضاء المُجتمع انتهت بإلغاء الاقتراح تقريباً، وتحويله إلى إرشادٍ محض.[١٣]

على كلّ حال، متى ما نُوقشت السياسات واعتمدت بصورةٍ رسمية تُطبَّق بطريقةٍ صارمةٍ تماماً، ولا يستثنى أحدٌ منها، ولا حتى الإداريين والمضيفين. وفي الآن ذاته فإن إصدار أيّ أحكامٍ أو القيام بإجراءاتٍ إداريَّة دون وجود سياسات تنصُّ عليها أمرٌ غير مقبول، لأنه يعني أن المجتمع لم يوافق على تنفيذ هذه الأفعال ولم يقرَّ تشريعاً يسمح بتنفيذها.

(١٣) "الإرشاد" في مُصطلحات ويكيبيديا هو قانون غير إلزاميّ: فهُو أقرب إلى نصيحةٍ يُقدِّمها أعضاء المُجتمع لزملائهم ويحثونهم على اتباعها، لكن عدم الالتزام بها لن يترتب عليه أيُّ شيء.

على سبيل المثال، عند الإقدام على حذف أيّ مقالةٍ، أو منع مستخدمٍ من التحرير، أو حماية صفحة من التعديل، أو غير ذلك من الإجراءات الإدارية وغير الإدارية، لا بُدَّ من الإشارة بوضوحٍ إلى البند والسياسة اللذين تمَّ بموجبهما هذا الإجراء.

مثلاً، يقول إداريٌّ في مُلخَّص التعديل بعد حظر شخصٍ ما أنَّ "المستخدم منع لتجاوزه قاعدة الاسترجاعات الثلاث"، فهذا إجراءٌ سليم لا يُمكن لأحدٍ الاعتراض عليه. إن اتضح أن إجراءً ما لم يكُن مبنياً على سياسة مُعيَّنة، أو كان يتناقض مع إحدى السياسات على نحوٍ واضح، فيجب التراجع عنه على الفور ومساءلة صاحبه.

لا أحد معصومٌ عن المساءلة من تجاوز قوانين ويكيبيديا، ولا حتى الإداريون ولا البيروقراطيون ولا المضيفون. جيمي ويلز نفسه -مؤسّس ويكيبيديا- ليس قادراً على تجاوز القانون.

لقد حصل من قبل في الواقع وأن أجبر جيمي ويلز على الالتزام بالسياسات، وذلك عندما كان يُحاول تعديل مقالته الشخصية على الموسوعة، حيث قام بعدة تغييراتٍ تهدف إلى محو أثر مساهمات صديقه (لاري سانجر) في تأسيس ويكيبيديا!

إلا أن تعديلاته استُرجعت على الفور لأن المجتمع رفضها، بل وحدثت ضجَّة إعلامية عقبَ ذلك حول محاولةٍ من ويلز لطمس دور صديقه في تأسيس المشروع. على ويكيبيديا العربيَّة، وقعت عدَّة حوادث على مرِّ السنوات منع فيها إداريُّون منعاً تاماً من تحرير أيِّ صفحة لأنهم استغلُّوا صلاحياتهم استغلالاً خاطئاً.

كيف تنضم إلى ويكيبيديا؟

لو كنتَ تُريد المشاركة في ويكيبيديا، فلا تُوجد لذلك أيَّة شُروط، تستطيعُ أن تفتح مقالةً في الحال وتُباشر العمل عليها، لكن لو أردتَ لتعديلاتك أن تبقى موجودة وأن لا يُلغيها أحدُ المُحرّرين، فستحتاجُ إلى أن تعرفَ بضعة أشياء أولاً.

إن سؤال "ما الذي أحتاجُ لفعله لأنضمَّ إلى ويكيبيديا؟" هو من أوّل الأسئلة التي كنتُ أتلقَّاها عندما ألتقي بشخصٍ وأخبرهُ أني ويكيبيديّ، وكنتُ معتاداً على الإجابة عليه بطريقة بسيطة جداً: "اصنَع حساباً وابدأ بكتابة المقالات!".

فكما يبدو لي -وعلى ما أعتقد لمُعظَم زملائي- لا يتعدّى هذا السؤالُ نطاقَ البديهيات التي لا تحتاج للتوقف عندها لشرحها: فمن حيث المبدأ، يمكن لأي شخصٍ يريد أن يصبح ويكيبيدياً أن يكونَ كذلك لو كان مُستعداً لبذل مقدار بسيط (أو كبير) من الجُهد في كتابة مقالة. وذلك، ببساطة، لأنَّ في رأسيّة كلِّ مقالة لدينا زراً يسمحُ لأيّ زائرٍ بتغييرها على الفَور.

لكن بمُرور الوقت اكتشفتُ أنَّ إجابتي على هذا السؤال سيّئةٌ جداً. كنتُ أراها مُناسبة لأنها تعبّر عن الفكرة الرائعة وراء ويكيبيديا، وهي أنَّ كلّ شخصٍ يستطيع المشاركة بصناعة كلّ مقالة ومشروع وقرارٍ لهُ علاقة بها، إلا أنَّها ليستْ إجابة كافيةً لمساعدة شخصٍ على أن يُصبح ويكيبيدياً حقيقياً.

لم يُرسل أحد إليَّ دعوةً عندما بدأتُ بالعمل في ويكيبيديا، بل قمتُ بالأمر بنفسي، بدأتُ بكتابة مقالاتٍ جديدة وتطوير بعضِ المقالات التي تُثير اهتمامي دُون أن أسأل أحداً عن شيء، فويكيبيديا للجميع ومُرحَّب لأيّ شخصٍ بالمُشاركة في صناعتها. رُغم ذلك، تُوجد مشكلة صغيرة، هي أنَّه ليسَ "مُرحَّباً" تماماً في ويكيبيديا بمن لا يعرفونَ كيفَ عليهم أن يُشاركوا فيها بالطّريقة الصَّحيحة.

خلال الأيـام الأول لكـلّ ويكيبيـديّ، لا بُـدّ أن يخـوضَ التجربـة السـئة المُتمثّـلة بـأن تحـذف مقالاته وتُلغَى تعديلاته القيّمة ويختفي المجهود الذي اقتطعَ بضع ساعاتٍ من وقتـه لإنجـازه، والنتيجـة لكـلٌّ ذلـك تكـونُ شـعوراً شـديداً بالإحبـاط، وجميعُنـا -نحـن الويكيبيـديّون- اضـطّررنا لتجاوزه قبلَ أن نُصبح جُزءاً من مجتمع هذه الموسوعة. لكن مُعظم الأشخاص قد لا يَرغبُون بذلك، وستكونُ استجابتُهم له هي أن يرحلوا عن ويكيبيـديا إلى الأبد ولا يعودوا إليها أبداً، وهذا أمرٌ مفهوم تماماً، لذا سأُحاول مساعدتكَ على تجنُّبه. في حالِ كنتَ شخصاً رائعاً يرغبُ بمُساعدة البشريّة والمشاركة بصناعة ويكيبيديا.

١. اقرأ القواعد والقوانين أولاً

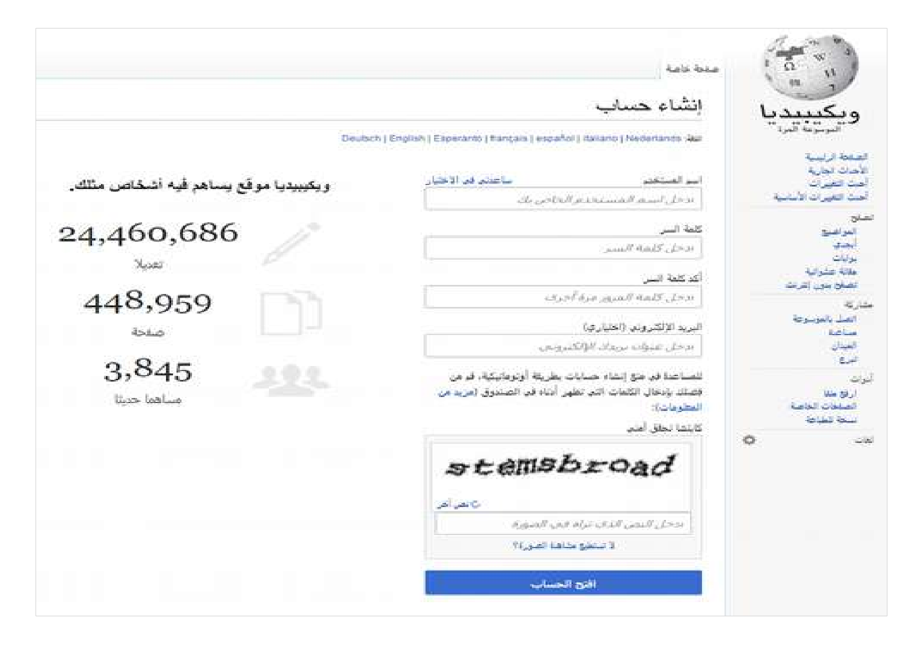
أهـمُّ خطـوة عليـك القيـامُ بها قبـل الشّـروع بالعمـل فـي ويكيبيـديا هـي قـراءة السياسـات والقوانين باهتمام. ولا أقصد، في هذا السياق، أن أقوم بدعايةٍ لعملي أو شيء مثل ذلك، لكنَّني سأقول أن قراءة كتابي اللَّطيف هذا -بكلّ تواضع- ستُغنيك عن هذه الخطوة. وشخصياً سوف أنصحك بقرائته أكثر من أيّ خيار آخر، مع عدم رغبتي بتحمّل أي مسؤولية قد تنجمُ عن إساءة استخدامك لنصيحتي.

تُوجد الكثير من القوانين التي سوف تُؤثّر على ما تكتبه. فمثلاً، من أهمّ مبادئ ويكيبيـديا هي أنَّها موسوعة، ومع أنَّها مُتاحة مجاناً على الإنترنت، ورُغم أن الجميع قادرون على تصفّحها وإدخال التعديلات عليها في أي لحظة، لكن ذلك لا يجعُلها مختلفة عن أي موسوعة أخرى. هذه الحقيقةُ لها، بالضرورة، عِدّة نتائج. لو أردتَ أن تُساعد بكتابة مقالات ويكيبيـديا، عليـكَ أن تُدرك ما هي الموسوعة، وما الفارقُ بينها وبين موقع أخبارٍ إلكتروني مثلاً أو الصحيفة الأسبوعية التي تُوزَّع على إشارات المرور.

تُوجد العديد من القوانين التي تُسيّر العمل في ويكيبيديا، ومن أهمّها الاستشهادُ بالمصادر، والحياديّة في الأسلوب، وعدم خرق حُقوق الملكية الفكرية، والتزامُ الطريقة الموسوعية في الكتابة. وجميعُ هذه السياسات مُوضَّحة بطريقة مُفصَّلة في الفصل التالي: لماذا حُذفت مقالتي؟

٢. كيف تُصبح ويكيبيدياً في خمس دقائق؟

الانضمامُ لويكيبيديا ليسَ مسألة مُعقَّدة حقاً، فيُمكنك أن تحظى بهذا الشرف في غُضون لحظاتٍ فقط. في الحقيقة يُمكنك بدء التعديل الآن ومن دُون فعل أي شيء، لكن ذلك قد يخرقُ خصوصيتك، لأن عنوان الآي بي الخاصّ بك سيظهرُ على العلن في سجلّ المقالات التي تعدلها، لذلك يُفضّل أن تنشأ حساباً. كلُّ ما عليك هو اختيارُ اسمٍ لك، لا بأس بأن يكون اسمك الحقيقي أو أيّ شيء تُريده، وكتابة كلمة سرّ. ولستَ حتى مُجبراً على إدخال بريدك الإلكتروني، فهو حقل اختياري!



هذه هي الخطوةُ الأساسية، لكن رُبّما تشعرُ بقليل من الضَّياع بعد أن تقومَ بها، فما هي الخطوة التالية؟ ما الذي يتوجَّبُ عليك فعله؟

يمكنك اختيار مقالة تهتمّ بها والبدء بالعمل عليها، لكن برأيي، أفضل شيء تفعله في هذه الحالة هو أن تبدأ بالالتحاق بمُجتمعات مُختصَّة بويكيبيديا العربية. فلدينا مجموعة نشطةٌ جداً على فيسبوك مُكرَّسة لمثل هذه الأمور، كما يُوجد قسم على ويكيبيديا اسمه الميدان، يُعتبر الساحة الأساسية لخوض النقاشات الهامة. نقاشاتُ "الميدان" قد تكون سبباً في إجراء تغييرات دائمة على قوانين وسياسات ويكيبيديا، أو افتتاح مشاريع جديدة، أو تغيير تصميم الموقع كُلّه، فهذا هو المكان الذي نتَّخذ فيه جميع القرارات الخاصة بالموسوعة.

مثلُ هذه الأماكن ستعطيك فرصة للتواصل معك الويكيبيديين الآخرين واقتراح الأفكار أو مُناقشة المشاريع، وربما تتعرَّف على بعض الأشخاص الذين يمكنك التعاون معهُم لكتابة المقالات.

رُبّما ترغب أيضاً بالتعرّف على المُجتمعات المهتمة بويكيبيديا في بلدك على وجه التحديد. تُوجد، حالياً، مُنظّمات غير ربحية لدعم ويكيبيديا في تسع دولٍ عربية، منها مُنظّمات نشطةٌ تُقيم لقاءات دورية (كلّ شهر أو بضعة شهور)، ومنها ما يندرُ أن يُشرف على أيّ مشاريع. وهي كالآتي:

- ويكيميديا بلاد الشام: (في الأردن، وسوريا، وفلسطين، ولبنان) نشطةٌ في مدن عمّان والقدس ورام الله، لكن أنشطتها قليلة.
- ويكيميديا تونس: نشطة في المنستير، ولها نشاطاتٌ دورية.
- ويكيميديا مصر: نشطة في القاهرة، لها العديدُ من اللقاءات.
- ويكيميديا الجزائر: لقاءاتُها نادرة بسبب قلّة عدد الأعضاء.
- ويكيميديا المغرب: لقاءاتُها نادرة بسبب قلّة عدد الأعضاء.
- ويكيميديا العراق: لقاءاتُها نادرة بسبب قلّة عدد الأعضاء.

٣. كيف تُعدّل مقالات ويكيبيديا؟

في الأيّام الخوالي، أو بالحقيقة، قبل سنةٍ أو رُبّما سنتين فقط، كنتَ سوف تضطرّ إلى الدخول في واجهة عديمة الألوان والمعالم ومُبرمجة برُموز HTML لتعديل مقالات ويكيبيديا. تبدُو تلك الواجهة مثل الشيء الجميل في الصّورة بالأسفل، وقد كان تعريفُ الأشخاص الجُدد على كيفيّة استعمال هذه الواجهة والتآلف معها أمراً مُضنياً حقاً (بالنسبة لنا ولهُم على ما أعتقد)، لكن لحسن حظّك، فإنك لم تعُد بحاجة للتعرّف على كيفية عملها الآن.



"هكذا كُنّا نكتبُ في ويكيبيديا على أيّامي" [يسعلُ بصوت عالٍ ويُعدّل نظارته الكبيرة العتيقة].

سأعترفُ لك بأمر، وهو أنّي لا زلتُ أستعمل هذه الواجهة إلى الآن عندما أكتبُ في ويكيبيديا (رُغم وجود واحدة أكثر حداثة بمرّات)، السَّببُ على الأرجح هو أني مُتقدّم في السن، ويصعب عليّ التعود على الأشياء الجديدة.

على أيّ حال، سأُوضّح لك باختصارٍ كيفيّة استعمال واجهتنا السحريَّة الجديدة الآن.



شرحٌ للأزرار الموجودة بصفحة ويكيبيديا الأساسية.

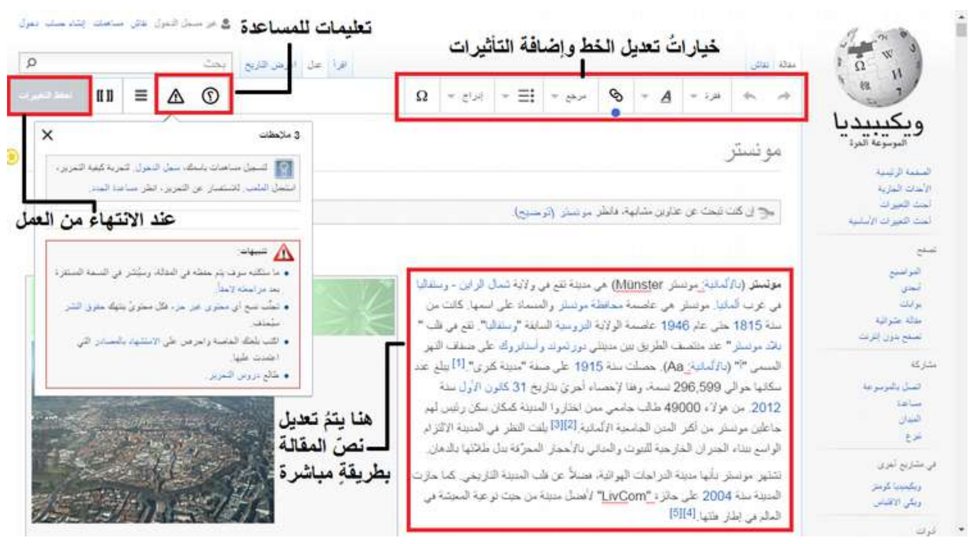
هذه هي الصّفحة الرئيسية لويكيبيديا العربية، يختلفُ تصميم الواجهة بدرجةٍ بسيطة بين اللغة والأخرى. في ويكيبيديا العربية، تحتوي الصفحة الرئيسية عدّة سمات، من أهمّها "مقالة اليوم المختارة" و"مقالة اليوم الجيدة"، وهي عينات خاصَّة من أفضل مقالات ويكيبيديا العربية، يتمُّ اختيارها وفقاً لأسُسٍ مُعقّدة، ويتم تغييرُها يومياً. تُوجد أيضاً بعض الأخبار، وعدّادٌ لمقالات ويكيبيديا العربية في هذه اللّحظة، وبعضُ صفحات الإرشاد.

الآن، ما يُهمّك هنا هو رأسُ الصفحة. في أعلى كلّ صفحة بويكيبيديا تُوجد الأزرارُ الحاسمة، التي تسمحُ لك بالقيام بالأشياء المُهمّة: صفحة التعديل، والنقاش، والتاريخ. لا تُحاول الضَّغط عليها وأنت في الصفحة الرئيسية، لأن هذه الصفحة تخضعُ لأعلى مستوى من الحماية، ولا يستطيعُ أحدٌ سوانا نحن -معشر الإداريّين- المَساس بها.



من هُنا يمكنك تغيير كلّ شيء في ويكيبيديا!

لكن في مقالة عاديّة مثل هذه، تستطيعُ أن تُباشر بتعديل ما تشاء بكلّ سهولة. فقط اضغط على هذا الزرّ في الأعلى، والذي يقولُ بكلّ وُضوح: "عَدِّل!". لن تحتاج إلى تسجيل حسابٍ حتى.



هذه الصّورة تُوضّح وظيفة كلّ جزء من واجهة تعديل المقالات في ويكيبيديا.

الآن سترى واجهة تعديل ويكيبيديا، من هُنا تستطيع تغيير أيّ شيءٍ تشاؤه في المقالة. يُمكنك تغيير الكلمات في النص ببساطةٍ بالغة، وكأنك تستعملُ برنامج الوُورد أو ما شابه، وأما التأثيرات الخاصة بويكيبيديا، مثل تلك الكلمات الزرقاء الجذّابة، فهي تُضَاف من الشريط في الأعلى. تُوجد أزرارٌ للتعليمات في الزاوية العُليا على اليسار، وزرّ يحفظُ لك عملك عندما تنتهي.

الآن، تُوجد الكثيرُ من التفاصيل في الواجهة التي لا أرغبُ بالخوض بها، لأنَّ هذا ليسَ دليلاً تعليمياً لتعديل ويكيبيديا، ستجدُ مثل هذه المعلومات في دروس التّحرير على ويكيبيديا ن رغبتَ بذلك، ولو واجهت بها أيّ صعوبة، فلن أمانع أبداً بمُساعدتك. يُمكنك مراسلتي على بريدي الإلكتروني لمعرفة ما تشاء. أيضاً، ربما أكتبُ دليلاً تفصيلياً لتعديل ويكيبيديا في أحد الأيام.

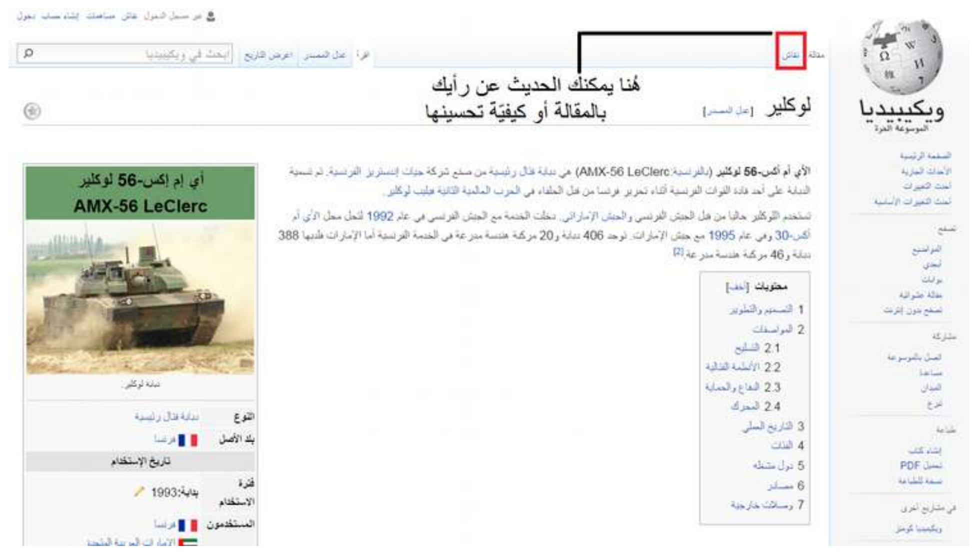
٤. النقاش

عندَ وُقوع الخلافات في ويكيبيديا فإنَّ الوسيلة الوحيدة لحلّها هي النقاش، فالتصويتُ ليس طريقة مقبولة لحلّ المشكلات، ولا تُوجد مجالس تحكيم قادرة على إصدار قرارات حاسمة لحلّ الخلافات، ولا وُجود لأي هيئة عليا تُشرف على الموسوعة لتُقرّر لنا ما سيحدث أو لا يحدث.

لهذا السَّبب، تُخصَّص داخل ويكيبيديا، في كلّ واحدة من مقالاتها، مساحة كاملة للحوار حول محتوى المقالة. يُمكن هنا اقتراح التعديلات، أو الاعتراضُ على بعض النقاط الواردة في المقالة، أو إبداء أيّ رأي تُريده.

المشكلة فقط أنَّه من النادر للمحررين الاطلاع على صفحات النقاش في موسوعة صغيرة مثل ويكيبيديا العربية، ولذلك لا يُنصح باستخدامها إلا في المقالات الكبيرة والأساسية. فمثلاً، من السَّهل أن تحصل على تفاعلٍ معك في صفحة نقاش مقالة "إسبانيا"، ولكن لو كتبتَ شيئاً في صفحة نقاش لمقالة قرية صغيرة بصحراء موريتانيا، فقد تمضي سنواتٌ دون أن يراهُ أحد.

يُمكنك الوصول إلى صفحة النقاش باستعمال الزرّ اللطيف المُوضّح أدناه، وهو موجود في أعلى كلّ مقالة بالموسوعة.



هذا الزرّ يسمح لك بالوصول إلى صفحة النقاش في أي مقالة.

في بعض الأحيان تكونُ صفحات النقاش مليئة بالهُراء، لكنّها قد تكون -أيضاً- مكاناً للحوارات الجادّة، ولا يجبُ التقليل من أهميّتها. لو لم ترغب باستعمالها، فإنَّ المكان الأفضل لمناقشة أمور ويكيبيديا هو الميدان، تستطيعُ دوماً التوجّه إلى هناك للحصول على الآراء الجادة والمفيدة.

٥. عرضُ التاريخ

هذه الصّفحة واحدة من أروع الأشياء في ويكيبيديا. كلّ حرف أضيف على كل مقالة بكلّ لحظة من تاريخ ويكيبيديا محفوظٌ هنا، يمكنك رؤية كل شيء، مع اسم حساب الشخص الذي عدّله، وتاريخ إجراء التعديل، وما قام به بالتفصيل المملّ.

في الصورة بالأسفل يوجد تاريخ مقالة مدينة "مونستر" الإسبانية. يمكنك الآن تصفّحه لاختبار الأمر بنفسك. كما ترى، آخر شخص قام بتعديل هذه المقالة في اليوم الأول من شهر أكتوبر الماضي، وهو باسم (أحد الإداريين المتفانين والرائعين لدينا).

بين قوسين يظهر ملخص التعديل الذي كتبه بنفسه، حيث يوضّح أنه استعاد النسخة السابقة من المقالة، والسبب -على ما يبدو- هو حدوث تعديل تخريبي في اليوم نفسه، أجراه عنوان آيبي مجهول.

يمتد السجل إلى ما لا نهاية ليحصر كل تعديل أضيف إلى المقالة منذ نسختها الأولى، التي ظهرت في سنة ٢٠٠٥. يمكنك اختيار أي تعديلين، وضغط زرّ "قارن بين النسختين المختارتين" لرؤية الفروقات بينهما.



صفحة تاريخ المقالة، فيها سجلّ لكلّ تعديل تافه حصلَ للمقالة مُنذ ظهورها على ويكيبيديا.

لماذا حُذفت مقالتي؟

ويكيبيديا هي موسوعة من الجميع وللجميع، فمن المَسمُوح لأيّ شخصٍ لديه الرّغبة أن يَنْضمَّ إليها ويُعدِّل مقالاتها، لكن ذلك لا يعني أننَّا نحتفظُ بجميع التعديلات التي يقومُ بها كل النّاس، فويكيبيديا -بنهاية المطاف- موسوعة جادّة تنشرُ المعرفة، ولكي يكونَ محتواها موثوقاً فإنَّ على من يُريد الكتابة فيها إدراك بعض الأمُور قبل المُباشرة بتغيير المقالات.

بما أنَّني راقبتُ أرشيف الصَّفحات الجديدة المنبثقة على ويكيبيديا العربيَّة لفترةٍ طويلة، يُمكنني أن أخبرك بثقة أن حوالي ٤٠-٥٠٪ من المقالات الجديدة على الموسوعة تُحذَف خلال أول ٢٤ ساعةٍ بعد ظهورها، وتختفي نسبة جيِّدة أخرى على مدى الشهور والسنوات اللاحقة. إحدى أكثر المُشكلات إزعاجاً بالنسبة إليّ في ويكيبيديا هي التعامل مع شخصٍ غاضبٍ لأن مقالته التي كدح للعمل عليها وجمع محتواها وسبك كلماتها، قد اختفت بكلٌّ بساطة من غير رجعة، لسببٍ تافهٍ لا يعرف ما معناه حتى، وأحياناً قد يكون شرح السَّبب له أمراً مُعقَّدًا جداً.

بالنسبة لجميع الناس الذين حذفتُ مقالاتهم أو كنتُ سبباً في حذفها،[١٤] فأنا الآن أقدّم اعتذاراً رسمياً عن عدم إرسال تفسيرٍ دقيقٍ لكم عن أسباب حذف مقالاتكم، فلا بُدَّ أن شُعور اختفاء جهدك وعملك دون فهم السبب (مع أنِّي كنتُ أحاول شرحه دوماً بطريقةٍ مُختصرة)، مُزعجٌ جداً. لكن صدقوني، ليست بيدنا حيلة.

في ويكيبيديا العربية قبل خمس سنوات -والأمور أفضل قليلاً الآن- لم يكُن ثمة سوى ثلاثة أو أربعة أشخاصٍ مُهتمِّين بمراقبة المقالات الجديدة في كل يوم، وأما عدد المقالات الجديدة التي تظهر عندنا يومياً فقد كان حوالي ١٥٠، تزيد أو تنقصُ قليلاً، علماً بأنَّ لدينا الآن ضعفَ ذلك العدد تقريباً.

---

(١٤) يصعبُ عليّ معرفة عدد المقالات التي علّمتها للحذف قبل أن أستلم الإدارة، لأنه ما من وسيلة لإحصائها أو معرفتها، لكنّها على الأغلب تعدُّ بضعة آلاف. عندما استلمتُ صلاحيات الإدارة كنتُ قد فقدتُ معظم حماسي القديم لتنظيف الموسوعة، لكنني -رغم ذلك- حذفتُ ٦٧١ مقالة أثناء فترة امتلاكي للصلاحيات.

عند وُجود هذا الكم الهائل من الصفحات السيِّئة، التي تحتاج إلى ساعاتٍ طويلةٍ من العمل لتصلُح للبقاء على ويكيبيديا، وعند وجود عدد قليل جداً من الأشخاص القادرين على الاهتمام بها، فإنَّ الحل الوحيد للحفاظ على مستوى الموسوعة يكون -في الكثير من الحالات- الحذف.

قد تبدو فكرة حذف مقالة بذل في كتابتها شخصٌ جهداً ووقتاً فكرة قميئة، خصوصاً في مشروعٍ تطوعيٍ مثل ويكيبيديا. لكن إن أردتَ أن تسمح لأي إنسانٍ من أي فئة عمرية أو فكرية أو تعليمية بالكتابة على موسوعة، فلا بُدَّ من تقبُّل فكرة أن نسبة عظيمة من المُحتوى الذي ينتجونه سيكون عديم الفائدة.

١. لماذا تحذف مقالات ويكيبيديا؟

هناك كل يومٍ عشرات المقالات التافهة تظهر على ويكيبيديا، يكتبُها مراهقون أو موظَّفون دعائيُّون أو مُخرِّبون متعمِّدون (Trolls كما يُسمَّون بالإنكليزية)، وصدقني إنَّ التعامل معها ليسَ أمراً مُمتعاً على الإطلاق. ثمَّة شخصٌ ما في مكانٍ بعيد من العالم يُحاول اللَّهو بوقته لأنه يشعر بالملل أو شيءٍ مثل ذلك، وقد تسبَّب بعبثه برمي صفحة تافهة على الموسوعية المعرفية البنَّاءة التي تصرفُ كل يومٍ ساعاتٍ من وقتك عليها، إنَّه شعورٌ سيءٌ جداً!

بعد مقالات العبث المُتعمَّد الكثير جداً، يأتي نوعي المُفضَّل من المقالات الجديدة على ويكيبيديا العربية... والتي أحبُّها لأنَّ إرسالها إلى قائمة الحذف السَّريع يُشعرني بمُتعةٍ عظيمة: وهي "مقالات السير الشخصيَّة". كل يوم، يُمكنك أن تقابل على ويكيبيديا العربية عشرات الدكاترة العظام، الذين تخرَّجوا من أرقى جامعات الغرب، وقضوا حياتهم يحضرون المؤتمرات وينشرون المؤلَّفات وينتسبون إلى أهمِّ الجمعيات الفكريَّة في العالم، والذين يُريدون أن يكتبوا مقالاتٍ عن أنفسهم على ويكيبيديا.

لأكون صادقاً معك، فإنَّ مُجرَّد توضيح الحقيقة الصادمة لهؤلاء الناس، وهي أنَّهم أقل شأناً بكثيرٍ ممَّا كانوا يتخيَّلون، وأن كلَّ إنجازاتهم الكبيرة (التي لن نعرف أبداً لو كانوا قد حقَّقوا أياً منها في الواقع) ليست مُؤهّلاً كافياً لهُم ليحصلوا على مقالةٍ شخصيَّة على ويكيبيديا، سببٌ كافٍ لإشعاري بلذَّةٍ كبيرةٍ جداً. أعتقد أنك تتفهَّم تماماً حاجتنا إلى التخلُّص من هذه الأنواع من القمامة، لكن ماذا عن المقالات التي يكتبُها شخصٌ جادٌّ بنيَّة حسنة؟ ماذا عن الناس الذين يُريدون فعلاً تقديم شيءٍ لويكيبيديا؟

للأسف، فإنَّ نسبةً جيِّدة من المقالات التي يكتبها هؤلاء تحذف أيضاً خلال ساعاتها الأولى على الموسوعة، وأما السبب في ذلك فهو -في مُعظمه بالحقيقة- أن من يكتبون المقالات الجديدة لا يُكلِّفون أنفسهم عادة عناء قراءة أيّ من شروط كتابة المقالات، وعلى الأغلب ما يرتبكون عدداً كبيراً من المُخالفات في مقالتهم الأولى.

هذا الأمر يُمكن أن يحدث لأيّ شخص، لأن الناس بصفةٍ عامة مخلوقات كسولة ولا يميلون للقراءة الطويلة، فبالنسبة لي مثلاً، لا أعتقد أنَّ أياً من مقالاتي العشرة الأولى لا زالت موجودة على صفحات ويكيبيديا العربية. مع ذلك، فإنَّ شُعور اختفاء المقالة التي بذلتَ فيها عملاً ووقتاً سيظلُّ مزعجاً جداً.

بسبب العدد الكبير من حالات الإحباط التي يُمكن أن تنجمَ عن هذه الحوادث، ولأنَّني أعتقد أنَّ عدداً كبيراً من الويكيبيديّين الجُدد يتركون ويكيبيديا خلال أيَّامهم الأولى بسبب اختفاء مقالاتهم غير المفهوم، سأخصِّص هذا الفصل من الكتاب للتحدُّث بالتفصيل عن شروط ومُؤهلات المقالات المقبولة على موسوعتنا. هذه الشروط مُتبَّعة بنفس الطريقة تقريباً على مُعظم نسخ ويكيبيديا بمختلف لغات العالم، وهي مُلخَّصة في مُعظمها بخمس قواعد أساسيَّة، تُلقَّب لأهميتها الشديدة باسم: ركائز ويكيبيديا الخمس.

٢. الركائز الخمس

«الوصايا الويكيبيديَّة الخمس»[١٥] كما أفَضِّلُ أن أسمِّيها. أو الركائز الخمس، هي خمس مبادئ تلخِّص فكرة ويكيبيديا وأسلوب عملها، وهي الأساس الذي تقوم عليه جميع القواعد والقوانين الأخرى التي تُسيِّر الموسوعة. ليست لهذه المبادئ قدسيَّة أو حصانة مُعيَّنة، بل هي محض سياسة أخرى من سياسات ويكيبيديا التي يُمكن تغييرها عند الحاجة، لكنَّها في الوقت الحاضر تُمثِّل جزءاً جوهرياً وأساسياً من الموسوعة وتنجح تماماً بتلخيص الأفكار الأساسيَّة التي تقومُ عليها.

١. **ويكيبيديا موسوعة**: الموسوعية هي مبدأ عام، يختزل تحته عدداً هائلاً من القوانين والأسس شديدة الأهمية في ويكيبيديا، والتي تحتاج إلى صفحاتٍ كثيرةٍ لتفصيلها. لكن بصورةٍ عامة، يُمكن القول أن مفهوم الموسوعة يتضمَّن كلَّ ما يُميِّز كتاباً علميًّا جيِّداً عن منتدى على الإنترنت، فذلك يعني مثلاً أن لا مكان على ويكيبيديا للآراء والنظريات الشخصية، أو للمناقشات الفكرية التي لا تتعلَّق بمقالاتها، كما أنَّ جميع الأشعار والقطع الأدبيَّة والقصص وكافَّة النُّصوص التي ليسَ فيها مضمونٌ معرفيٌّ حقيقيٌّ مرفوضة. فويكيبيديا لا يُمكن أن تقبل إلا محتوى موسوعياً رصيناً مدعوماً بالمصادر الموثوقة.

٢. **ويكيبيديا قائمة على الحياد**: وهو مفهوم قد يعتبر جزءاً من الركيزة السابقة، لكن لأهميَّته الشديدة احتاج تخصيص واحدة مستقلة له. فويكيبيديا لا ترضى التحيُّز لأي طرف في أي نزاع فكري أو سياسي أو ديني، ولا تقبل إلا بالمعلومات المدعومة بالمصادر الموثوقة في أي موضوع خلافي، ومن الممنوع استعمال المصادر المتحيِّزة لفكرة أو فئة مُعيَّنة على أي مقالة من مقالاتها.

(١٥) لو لم تكن قد قرأتَ رواية "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل حتى الآن، ستكون هذه فرصةً جيِّدة كي تقوم بذلك!

٣. **ويكيبيديا حرّة المحتوى**: عادةً ما تُسَاء ترجمة هذا الجزء بطريقةٍ مخيفةٍ على صورة "ويكيبيديا مجانية" كمقابلٍ لـ"Wikipedia is free". لكن في الواقع المعنى الحقيقي لهذه الركيزة هو أن محتوى ويكيبيديا ملكٌ للجميع، إذ يمكن لأي شخصٍ المشاركة بتعديلها وكتابة مقالاتها، وفي الآن ذاته، يمكن لأي شخص الاستفادة من محتواها وتطويره وإعادة نشره دون قيود قانونية. ويكيبيديا ليست ملكاً لأحد.

٤. **ويكيبيديا لديها قواعد نقاش**: النقاش والحوار هو جزء أساسيٌّ من عمليّة تطور مقالات ويكيبيديا، عند وجود أي خلاف أو نقطة مبهمة أو مسألة غير واضحة أو حتى اعتراض على السياسات والقوانين، سيكون الحل هو النقاش. ولهذا النقاش قواعد، فالهجوم الشخصي ممنوع وحروب التحرير مرفوضة، والنزاعات تتوقَّف عند قاعدة الاسترجاعات الثلاث التي سيجري تفصيلها في قسم "نزاعات التحرير" بالأسفل.

٥. **ويكيبيديا مرنة القواعد**: الفكرة من هذه الركيزة هي التأكيد على حريَّة مجتمع ويكيبيديا وقدرته على تغيير أيٍّ من القوانين الحالية حسب ما يراه مناسباً. فلا توجد بويكيبيديا قواعد مُقدَّسة أو منيعة من التغيير، كل شيء يمكن تعديله طالما هناك إجماعٌ واتفاق عام على التعديل. لكن، لا يجب أن يُفهَم هذا على أنَّ ثمة أي تساهلٍ بتطبيق القوانين، فطالما هناك قانون يتفق عليه المجتمع، سيتم تطبيقه على الجميع دون تهاون.

٣. الموسوعيَّة

ما نُسمّيه «**ويكيبيديا ليست**» هي إحدى أهم أقسام قواعد ويكيبيديا، وهي تلخِّص أنواعاً مختلفة من المحتوى والمقالات التي لا يمكن قبولها على الموسوعة، كما أنَّها توضِّح الكثير من المبادئ وآليات سير العمل الأساسية. الفكرة التي تحاول جميع قواعد "ويكيبيديا ليست" إيصالها هي حقيقة أن ويكيبيديا موسوعة، ولا يمكن أن تتضمَّن إلا محتوى موسوعياً، لكن لأن الكثيرين لا يدركون ما يعنيه ذلك ويتضمَّنه على وجه التحديد فإنَّ القائمة في أدنى هذا القسم ستوضح الأمر أكثر.

الموسوعيَّة مصطلحٌ عام، فهو لا يعني شيئاً واحداً بعينه، بل يتضمَّن عدداً كبيراً من القواعد التي تجعل مقالات كتاب مثل الموسوعة البريطانية أرقى من مقالات الصحافة الصفراء والشبكات الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، واحدةٌ من المبادئ الجوهريَّة للكتابة الموسوعية هي أن الآراء الشخصيَّة غير مقبولة: فكاتب المقالة في موسوعة ليس مُخوَّلاً إلا لعرض المعلومات والحقائق، وأما آرائه فعليه الاحتفاظ بها لنفسه، لأنَّ مقالات الرأي والفكر مكانها الصُّحف والمجلات، لا في الموسوعات. ذلك يتضمَّن أيضاً التقيُّد بالمصطلحات واللُّغة العلمية، وعدم استعمال لهجة خطابية عند الكتابة، كما أنَّه يعني أن أيَّ نوعٍ من النصوص التي تتضمَّن سبكاً أدبياً (مثل القصص والأشعار والخطابات) مرفوضةٌ رفضاً قاطعاً ونهائياً في ويكيبيديا.

عند كتابة مقالٍ موسوعيّ جيِّد، أهمُّ القواعد التي يجب اتباعها هي عرض الحقائق على القارئ دون إضافات. فما نفعله عند الكتابة في ويكيبيديا هو أنَّنا نطَّلع على عددٍ من المصادر، ونقتبس منها المعلومات المُتعلِّقة بموضوع المقالة، ونضعها كما هي. بإمكاننا إعادة صياغة العبارات بأسلوبنا الخاصّ، لكنَّنا نلتزم بأسلوب الكتابة الأكاديمي البحت، الذي لا يهدفُ إلا لتوصيل الحقائق على صورتها الأصلية، دون إضافة أي شيءٍ لها من ذهننا.

مُشكلة أسلوب الكتابة الموسوعيّ أنَّه يحتاجُ إلى بعض الممارسة لإتقانه وعمله بالطريقة الصَّحيحة، ولذلك، فإنَّ واحدةً من المُشكلات الجوهرية في المقالات الجديدة على ويكيبيديا هي عدمُ التزامها بالأسلوب الموسوعيّ. ومع أنَّ هذه المشكلة فنيَّة بحتة، فالمعلومات الواردة في المقالة قد تكون دقيقةً تماماً من الناحية العلمية، إلا أنَّها مشكلة تحتاجُ إلى الكثير من العمل لإصلاحها، ولا يُساعد عدد المُساهمين القليل في ويكيبيديا العربيَّة على التعامل معها.

فيما يلي قائمة القواعد التي تنصُّ على ما لا يُمكن أن تحتويه ويكيبيديا، جميع العناوين أدناه مقتبسة من صفحة السياسة الرسميَّة على النسخة العربيَّة من ويكيبيديا:

١. **ويكيبيديا ليست قاموساً**: لا مكان في ويكيبيديا للتعاريف المُعجَميِّة للمصطلحات، وهي ليست دليلاً لشرح طرق استعمال التعابير اللغويَّة، لذلك من الممنوع إنشاء صفحات هدفها الوحيد شرح الاستخدام اللغوي لتعبير ما. لو كنتَ مهتماً بهذه الأمور، يمكنك التوجُّه إلى مشروع ويكاموس الشقيق.

٢. **ويكيبيديا ليست منبراً لنشر الأفكار الجديدة**: لا مكان للأفكار والتحليلات الشخصية على ويكيبيديا، أي مقالة تبدي رأياً ذاتياً -حتى ولو لشخصية مشهورة- مرفوضة تماماً. الأمر لا يتضمن الآراء الفكرية فقط، بل حتى الأبحاث الأكاديمية التي تخترع أفكاراً جديدة (غير متعارف عليها بالمجتمع العلمي أو البحثي) مرفوضة، فأي معلومة توضع على ويكيبيديا يجب أن تكون متداولة أكاديمياً على نطاقٍ واسع.

٣. **ويكيبيديا ليست منبراً خطابياً أو دعائياً**: أي خطاباتٍ موجَّهة (إلقاء سياسي، خطبة دينية) غير مقبولة على ويكيبيديا، نفس الشيء ينطبق على أي دعايات إعلانية أو محاولة ترويج لمصلحة شركة أو مؤسسة أو فكرة. يتعلّق هذا أيضاً بقاعدة "تعارض المصالح"، التي تنصُّ على أنه لا يمكنك الكتابة عن شيء يتعارض مع مصالحك الشخصية، وأبرز مثالٍ على ذلك أن يكتب شخص مقالةً عن نفسه أو أحد أقربائه.

٤. **ويكيبيديا ليست مخزناً للملفّات والصور**: ليست مقالات ويكيبيديا مكاناً لعرض ألبومات الصور أو أرشفة الروابط والملفات.

٥. **ويكيبيديا ليست قاعدة معرفية عامة**: ويكيبيديا هي محض موسوعة، وهي لا تقبل أي شكلٍ من أشكال المعرفة سوى المحتوى الموسوعي. ليست مكاناً للاقتباسات ولا التقارير الإخبارية ولا المذكرات الشخصية ولا شجرات الأنساب العائلية والقبلية. لهذا السبب مثلاً لا يُمكن تضمين وصفات ونصائح الطبخ في مقالات ويكيبيديا، فهي ليست دليلاً للطهي، بل هي لا تُقدّم -في هذا السياق- سوى معلومات عامة عن الدور التاريخي والثقافي لأصناف الطعام.

٦. **ويكيبيديا ليست كرة بلورية**: لا تتنبأ ويكيبيديا بالمستقبل، فلا مكان فيها لأي تخمينات عن المستقبل في أيّ مجالٍ كان. لو كان هناك مشروع أو إصدار مستقبلي من شيء ما تم الإعلان عنه ويتم تجهيزه بصورة رسمية فلا مانع من كتابة مقالةٍ عنه، لكن لا يمكن قبول أي توقعات لا تستند إلى حقائق واضحة وموثوقة، مثل تخمينات لمن سيفوز في مُسابقات الألعاب الأولمبية التي لم تقم بعد.

٧. **ويكيبيديا ليست معنيَّة بحماية القاصرين**: مقالات ويكيبيديا ليست مُقيَّدة بأي فئة عمرية، وهي ليست معنية بحماية القاصرين من أي أفكار أو مواد قد يعتبرها البعض مؤذية لهم. إذا كانت هناك مادة ضروريَّة لتوضيح الفكرة الموسوعية من مقال فإنَّه يجب أن يتضمنها، فمثلاً، يمكن أن تضمن بعض المقالات صوراً تثير حساسية بعض الناس، وهي ستبقى موجودة طالما أنها تخدم محتوى المقالة.

٨. **ويكيبيديا ليست منتدى أدبياً**: ويكيبيديا مكان للمقالات الموسوعيَّة فحسب، المقالات الأدبية والخطابات والقصائد الشعرية والقصص بكلِّ أشكالها مرفوضة تماماً، بغضّ النظر عن مدى شهرة صاحبها. يمكن أن تتضمَّن بعض المقالات أحياناً اقتباسات موجزة من قصيدة أو قطعة أدبية، لكنَّ ذلك يكون لتوضيح فكرة أو معلومة فقط وليس لعرض القطع الأدبية.

٤. الملحوظية

إذن، ما الذي يستحقُّ الكتابة عنه على ويكيبيديا؟ ويكيبيديا هي على الأرجح أوسعُ موسوعةٍ في تاريخ البشرية من حيث عدد المواضيع التي تُغطِّيها، فالنسخة الإنكليزيَّة منها وحدها تحتوي الآن أكثر من خمسة ملايين مقالة، وأما جميع اللغات مُجتمعةً فهي تعدُّ حوالي أربعين مليوناً، لكن على الرُّغم من ذلك، فليس من المنطقيّ أن تغطي موسوعة -حتى ولو كانت بهذا الحجم- أيَّ موضوعٍ في العالم.

على سبيل المثال، لو كان مسموحاً لأيِّ شخصٍ بكتابة سيرة ذاتيَّة عن نفسه على ويكيبيديا، فستتحوَّل موسوعتنا إلى شبكةٍ اجتماعيَّة يعرضُ الناس عليها إنجازاتهم وأخبار حياتهم، ولو أتيحت لأي موظَّف دعائي نشر صفحة عن شركته عديمة الأهمية فستصبح موقع إعلانات، ناهيك عن إمكانيَّة استعمال مقالات ويكيبيديا كمنصَّةٍ لنشر أخبار الصِّحافة الصفراء أو الدعاية للتيَّارات الفكرية والسياسية، أو أيِّ استغلالٍ تافه آخر.

الحلُّ لهذه المشكلات هو سياسة الملحوظية. على الأرجح أنَّك لن تفهم كثيراً معنى هذه الكلمة، فهي مُجرَّد ترجمة حرفية (وبرأيي الشخصي رديئة) لمصطلح "Notability" الإنكليزي، والمقصود بها هو مقدار أهمية الشيء التي "تجعل الآخرين يلاحظونه" إن صحَّ التعبير. من تجربتي الشخصيَّة، السبب الأساسي في حذف معظم المقالات الجديدة على ويكيبيديا هو فشلها باختبار الملحوظية، فهو معيارٌ شديد الأهمية لتحديد ما يمكن الكتابة عنه على ويكيبيديا أو ما لا يُمكن، خصوصاً في حالة السير الشخصيَّة.



إذاً لم يكُن أحد يهتم بما تفعل. فذلك يعني أنَّ لا مكان له على ويكيبيديا!

(المصدر: Protestshooter.com).

الفكرة من قاعدة الملحوظية هي أنَّ الكثير من الأشياء في العالم أقلُّ أهمية من أن تستحق الكتابة عنها في موسوعة، حتى ولو كانت موسوعة هائلة الحجم مثل ويكيبيديا، فإذا لم يكن أحدٌ يهتم بقراءة مقالة، إذاً ما من داعٍ لوجودها.

الحكم الرئيس في الملحوظية ما هو مقدار توافر مصادر موثوقة للمعلومات عن موضوعٍ معيّن. فالعديد من المواضيع العلميَّة قد لا تكون مشهورةً ولا معروفةً بين الناس، إلا أنَّ أهميَّتها الأكاديمية وغزارة الأبحاث المتمحورة حولها تجعلها مُؤهَّلة تلقائياً للحصول على مقالاتها الخاصَّة على ويكيبيديا، ومن هُنا فإن المعيار الأساسي للملحوظية هو المصادر، وليس البيانات الصحفية.

لا يعني انعدام الملحوظية بالضرورة أن الموضوع لا يجب أن يُكتَب عنه أي شيء على ويكيبيديا، إنَّما أنه لا يستحق مقالة خاصَّة به فحسب. ففي الموضوعات العلمية مثلاً، كثيراً ما تحذف مقالات متخصَّصة ويُدمَج محتواها مع صفحات أكبر في حال لم تكن هناك حاجة كبيرة لوجود مقالة مستقلة. في أحيانٍ أخرى أيضاً، يكون الموضوع لا يستحقُّ وجود أي ذكرٍ له على صفحات ويكيبيديا.

من الـ ١٥٠ إلى ٢٠٠ مقالة التي تحذف كل يوم على ويكيبيديا العربيَّة، نصفها تقريباً أو أقلُّ بقليل -بتقديري الشخصي- تكون دعايات لأشخاصٍ مغمورين عديمي الأهمية فشلت بتحقيق شروط الملحوظية. حقيقة، لو راقبتَ صفحات ويكيبيديا الجديدة ستكتشف أن هناك عدداً غير عادي في العالم من الناس الذين يعتقدون أن شأنهم كبيرٌ جداً، وأن وُجود مقالاتٍ عنهم على موسوعة أمرٌ ضروريٌّ ومفروغ منه.

قد يكون أكبر تساؤل يتبادر إليك الآن هو، كيف نحدِّد من هم الأشخاص غير المهمين الذين لا يستحقُّون مقالات على ويكيبيديا؟ الحقيقة هي أن الأمر تقريبيٌّ ويرجع إلى التقدير، ففي بعض الأحيان سيصعُب عليك حسم الأمر، وتقرير ما إذا كان الشخص مهماً كفاية للحصول على مقالة أم لا.

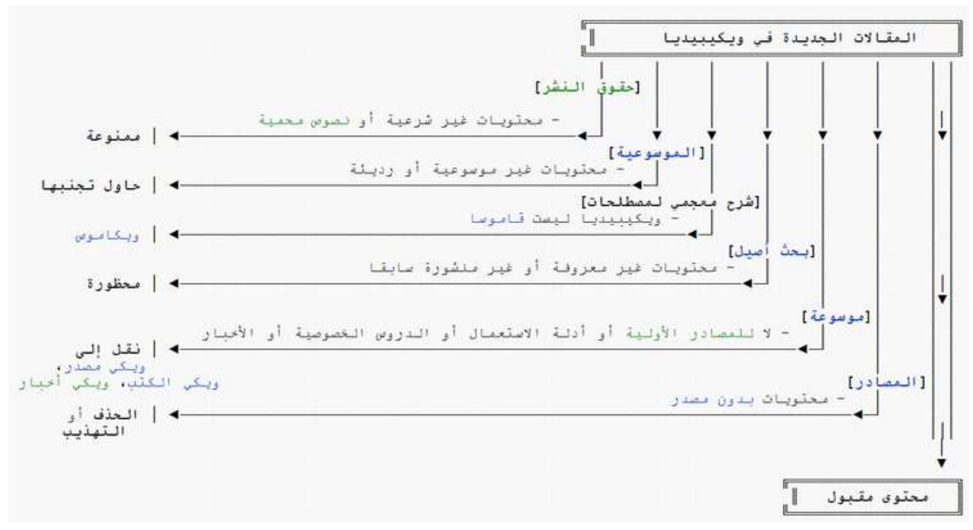
نظرياً، توجد معايير مُحدَّدة[١٦] على ويكيبيديا العربيَّة لكل فئة من المهن (مثلاً، كاتب. ممثل. إلخ)، تُحدِّد متى يمكنهم أن يستحقوا أو لا يستحقوا مقالةً لهم في ويكيبيديا. ستجد صفحة معايير السير الشخصية تُوضِّح بالتفصيل الشروط العامة للملحوظية في ويكيبيديا العربية. مع ذلك، يُمكن القول أنَّ الوُقوع على شخصيات ملحوظيتها غير واضحةٍ نادرٌ نسبياً، ففي معظم الحالات تكون مسألة الملحوظية واضحة جداً، وببحث سريعٍ على غوغل ستجد أن الشخص المعني معدوم الذكر على الإنترنت، بل وفي العديد من الحالات قد تجد -بمجرَّد قراءة بضع عبارات من الصَّفحة- أنه طفل يتسلَّى بوقت فراغه.

إذا كنت ويكيبيدياً مجتهداً تحاول تنظيف موسوعتك من مئات الصفحات المخالفة التي تُرمَى فيها كل يوم، وبما أن الملحوظية مسألة مطاطة، ستضطر للاعتماد على اجتهادك وتقديرك الشخصي للحُكم على مصير الكثير من المقالات. عليك هنا أن تدرك أنَّ هناك ضغطاً عالياً جداً على الدوام لفحص المقالات الجديدة، فكل يوم تضاف أكثر من ٣٠٠ مقالة جديدة إلى ويكيبيديا العربيَّة، وفي الأيام النموذجية ينتهي الأمر بحذف نصفها على الأقل. بما أنَّ كادر الويكيبيديِّين لدينا صغير، وجميعهم متطوِّعون يحاولون تفريغ جزء من وقتهم الضيِّق للقيام بهذا العمل دون مقابل، لذلك من المحتوم أن عملية فحص المقالات وتحديد ملحوظيتها تصبح مهمَّة روتينية تُجرى في الكثير من الأحيان على وجه السُّرعة. أعترف بأنني أنا نفسي وفي الكثير من الحالات لا آخذ سوى دقيقة واحدة للحُكم على ملحوظية مقالة، لكن صدِّقني، سترى -لو كنت مكاننا- نماذج غير محتملة من المقالات التافهة تجعلك تفقد قدرتك على الصَّبر.

---

(١٦) على سبيل المثال، تنصُّ معايير الكتاب والمؤلفين على أنَّه يجب أن تكون لدى الكاتب -لكي يعترف بملحوظيته- خمسة أعمالٍ منشورة من قبل جهات معروفة، بيعت من كل واحدٍ منها ٢٠ ألف نسخة كحدٍّ أدنى. على أرض الواقع، لن تجد مثل هذه المعلومات الدقيقة عن أيِّ شخص تقريباً. وخصوصاً كاتب عربي مغمور، ولا أعتقد بأمانةٍ أنه سبق الاستفادة من هذا المعيار في تاريخ ويكيبيديا العربية قط.

الملحوظية واحدة من أكبر مسائل الخلاف في ويكيبيديا. هناك كل يوم اعتراضات وشكاوى على حذف المقالات، ومحاولات لإثبات ملحوظية هذه المقالة أو تلك من أصحابها الغاضبين. في الكثير من الأحيان، يمكن أن يختلف محررو ويكيبيديا بينهم في الحُكم على ملحوظية مقالة، وقد تنتج عن ذلك نقاشات طويلة ومُفصَّلة جداً لتحديد مصير هذا المقال أو ذاك.



مخطط الملحوظية المقالات الجديدة في ويكيبيديا العربية.

المُشكلة الرئيسية في هذه الخلافات أنَّها جميعها تقريباً تستهدف مواضيع من الثقافة العربية (شخصيَّة من دولة عربيَّة مثلاً)، ممَّا يجعل الحصول على مصادر جيِّدة عن موضوع المقالة مهمَّة عسيرة جداً. على سبيل المثال، من الشروط الرسميَّة في ويكيبيديا العربيَّة للسَّماح لمقالة عن مُؤلِّف بالبقاء على الموسوعة أن تكون لديه كتبٌ طبعتها دور نشرٍ معروفة وصلت إلى ما لا يقلُّ عن ٥,٠٠٠ شخص، أو نُشرت في مطبوعاتٍ يقرؤها خمسة آلاف شخص، وهي شروط ممتازةٌ على أساسٍ نظريّ. لكن، متى يُمكنك الوصول إلى مثل هذه المعلومات عن أي كاتبٍ عربيٍّ على الإطلاق؟

بكلِّ صراحة، لم يَسبق وأن قابلتُ، أثناء وجودي في ويكيبيديا، خلافاً عن الملحوظية تمكَّنت هذه الشروط الجاهزة من حسمه، لأنَّ الحصول على مصادر عربيَّة موثوقةٍ، حتى ولو عن شخصية ضاربة في الشهرة، أمرٌ صعبٌ جداً.

على العُموم، توجد لدينا بعض القواعد العامَّة التي يُمكنها أن تعطيك فكرةً عن كيفيَّة تحديد ملحوظية مقالات ويكيبيديا. واحدةٌ من هذه القواعد هي اختبار المئة عام، الفكرة من هذا الاختبار هي أنَّه لو تخيَّلنا أنَّ شخصاً من المستقبل قرأ هذه المقالة بعد ١٠٠ سنة، فهل سيهتمُّ لمحتواها ويجدُها مفيدة؟ لو كانت الإجابة لا، فمن المُحتمل أنها لا تستحقُّ الوُجود على ويكيبيديا. هذا الاختبار مفيدٌ بشكلٍ خاصٍّ مع مقالات الأخبار الجارية، مثل الأحداث السياسيَّة وما شابهَها.

من الطُّرق الرائجة لتحديد الملحوظية أيضاً اختبار غوغل، الذي يُساعد كثيراً على التحقُّق من شُهرة شخصٍ ما على شبكة الإنترنت بالتحقق من نتائجه على محرك غوغل. وأيضاً اختبار المصداقية، والذي ينصُّ على أنه لو لم يكُن من الممكن التحقق من مصداقية المعلومات المتوافرة في المقالة عبر مصادر موثوقة، فعلى الأرجح أنَّنا لا نُريد لها أن تبقى على الموسوعة.

كإضافةٍ تاريخيَّة، في سنة ٢٠١٠، كان هناك اقتراحٌ من بعض محرري ويكيبيديا العربيَّة لإضافة سياسة جديدة تضع معايير ملحوظية للمواقع الجغرافية، بما معناه. أن القرى والبلدات التي يقلُّ عدد سكانها عن حد معين أو لا تتجاوز مستوى إدارياً ما لن تعود مؤهلة للحصول على مقالات بويكيبيديا. كانت نتيجة هذا الاقتراح هي وقوع أكبر نقاش مُسجَّل في تاريخ النسخة العربية من ويكيبيديا. استغرق النقاش عاماً كاملاً (على ما أعتقد، ١٤ شهراً منذ وضع المقترح، و ٨ شهور في الفترة الأكثر حدة من النقاشات)، وكُتِبَت خلال حواراته كميَّةٌ من النصوص يعادل حجمها ما يكفي ليملأ كتاباً من نحو ١٥٠ صفحة.

٥. حقوق الملكية الفكرية

إحدى ركائز الخمس هي أنَّ «ويكيبيديا حرَّة المُحتوى»، فجزء أساسيٌّ وجوهريٌّ جداً من فلسفة ويكيبيديا هو الملكية العامة وعدم تقييد المحتوى بحقوق النشر. بما أنَّها موسوعة يكتبها الجميع، فإنه من البديهي أيضاً أنَّ ملكيتها ستكون للجميع. محتوى ويكيبيديا حرٌّ قانوناً، فبإمكان أي شخصٍ في العالم استعماله وتعديله وإعادة نشره بحريَّة تامة، وفقاً لشرط بسيط وحيد، وهو ذكر مصدر المحتوى، أي ويكيبيديا.



محاضرة عن مؤسسة ورخصة المشاع الإبداعي أو Creative Commons، في مدينة طوكيو سنة ٢٠٠٧. يظهرُ بالخلفية شعار المؤسسة.

تنشر جميع محتويات ويكيبيديا حالياً تحت رخصتين قانونيَّتين في الآن ذاته، متقاربتين في مفهومهما العام لكنهما تختلفان ببعض التفاصيل التقنية: هُما المشاع الإبداعي (Creative commons) وغنو للوثائق الحرة (GNU FDL). النص القانوني لهاتين الرُّخصتين مُعقَّد قليلاً، لكن يمكن -تبسطياً للأمور- تلخيص معناه بثلاثة أمور: المشاركة والتعديل والاستغلال التجاري.

المشاركة هي نسخ أو إعادة توزيع العمل بأي طريقة. يشمل ذلك كل وسيلة نشر للعمل (نصّ مقالة من ويكيبيديا مثلاً) ستسمح للآخرين بالوصول إليه، كوضعه على موقع إنترنت، أو إعادة توزيعه بأسلوب منظَّم، ومجرد نشرك لشيءٍ على صفحتك بموقع فيسبوك يمكن أن يندرج تحت هذا التصنيف.

التعديل هو أن تأخذ العمل وتعدل عليه بطريقتك الخاصة أو تبني عليه شيئاً جديداً، فاستعمال صورة فوتوغرافية ليست ملكاً لك في كتاب أو عرض بوربوينت خاصّ بك مثالٌ على هذا.

الاستغلال التجاري هو ببساطةٍ أيُّ استفادةٍ من هذا العمل تسعى لجني الرِّبح، فلو أخذتَ صورة محميَّة بحقوق الملكيَّة الفكريَّة ونشرتها بكتابٍ لك يُبَاع تجارياً، ستكونُ مُتضمَّناً في هذا البند.

توجد إصدارات عديدة من رخصتي المشاع الإبداعي وغنو تضع شروطاً مختلفة لهاتين الحالتين، لكن جميع الإصدارات المستعملة على ويكيبيديا تسمح بمشاركة وتعديل العمل المعنيّ بأي طريقة، حتى ولو كان ذلك لأغراضٍ تجارية.

هذا يعني أنَّه من المسموح لك قانوناً بتجميع عددٍ من مقالات ويكيبيديا في كتابٍ وبيعه لحسابك الخاص، ولن يستطيع أحدٌ مقاضاتك ولا الاعتراض عليك قانوناً.

لكن، ثمَّة شرطان وحيدان تضعهما رخصة ويكيبيديا، هما نسبة العمل إلى صاحبه والالتزام برخصة غنو/المشاع الإبداعي. فإذا أردت بيع كتاب منسوخ حرفياً من ويكيبيديا العربية، عليك أولاً أن تقرَّ بأنه مقتبس من ويكيبيديا، وثانياً أن تنشره (هو الآخر) تحت رخصة غنو أو المشاع الإبداعي.

لكنَّ الرائع في الأمر هو أن الخطوة الثانية تعني أنَّ هذا الكتاب لم يعُد محمياً بحُقوق الملكية الفكرية، وبالتالي فلو وضع أحدٌ محتوى من ويكيبيديا في كتابه، سيضطرُّ إلى نشر الكتاب بأكمله تحتَ رخصةٍ حرَّة، وعندها سيَكون بإمكان أيِّ شخصٍ نسخه والاستفادة من محتواه بحريَّة.

الآن. ما الذي يُهمِّك في ذلك؟ لو كنت تنوي محاولة الكتابة على ويكيبيديا ستحتاج كثيراً إلى فهم هذه الأمور، وإلا قد تضيف إليها دون علمك موادَّ تخرق حقوق التأليف والنشر. فكما أسلفت، ويكيبيديا تعطي للناس حرية كبيرة جداً باستعمال محتواها.

إلا أنَّ هذه الحقيقة تعني أننا لا نستطيع أن نضع على ويكيبيديا أيَّ شيءٍ محميٍّ بحقوق الملكية الفكرية. فأي نص أو وثيقة أو صورة محمية الحقوق لا يُمكن إضافتها إلى مقالات ويكيبيديا، وفعل ذلك سيُعطي صاحبها الحق بمقاضاة مؤسسة ويكيميديا لسرقتها عمله.



ريشتارد ستولمان، الأب الروحي لمؤسّسة غنو، في الاحتفالية الثلاثين لإطلاق نظامه وترخيصه القانوني.
(الصورة مُلتقطة في فرنسا، سنة ٢٠١٣)

عموماً، بما أنَّ مصادر المعرفة الجيِّدة المنشورة تحت تراخيص حرَّة (مماثلة لترخيص ويكيبيديا) لا زالت أمراً شبه معدومٍ في عالمنا، فيمكن القول أنَّه لا يجب عليك في أي حالة طبيعية ولا تحت أي ظرف عاديّ نسخ نص والإلقاء به في إحدى مقالات ويكيبيديا، فذلك خرقٌ صريح لحقوق النشر وسيحذف حال ما يلاحظه أحد محرِّري ويكيبيديا، فثمَّة عشرات المقالات التي تُحذَف أسبوعياً لمُخالفتها حقوق الملكية الفكرية فقط. إذا كنتَ مهتماً بمعرفة طرق الاستفادة من المصادر دون خرق حقوق الملكية الفكرية، يمكنك الاطلاع على الفصل السادس بعنوان: كيف تؤلَّفُ مقالات ويكيبيديا؟

إجراءات الضبط على ويكيبيديا

لعلَّك تستوعب الآن وجود نوعٍ من القوانين التي تحكم سير العمل في ويكيبيديا، فالأمور لا تسير بعشوائية، وحتى عند السماح لأيّ شخصٍ بالكتابة فلا يعني أنَّ العبث مسموحٌ به. ومع أن هذه القوانين "مرنة" بحيث أن تعديلها ممكن (لو اتفق المجتمع على ذلك)، لكن طالما المجتمع متفق عليها للآن فإنها ستُطبَّق بصرامةٍ شديدة.

١. نقاشات الحذف

على الأرجح أنَّ أكثر إجراءٍ إداريٍّ يجري تطبيقه في ويكيبيديا هو الحذف. ثمَّة كلَّ يومٍ عشرات المقالات الجديدة التافهة التي يكتبُها أشخاصٌ لا يعرفون شيئاً عن الموسوعة أو آليَّات العمل فيها، والتي لا يُمكن السَّماح ببقائها لو أردنا الحفاظ على جودة ومُستوى هذه الموسوعة، أو التي لا يُمكن الإبقاء عليها وهي في وضعها الحالي، في حين أنَّ إصلاح مُشكلاتها (مثل انعدام الأسلوب الموسوعيّ وخلافه) قد يتطلَّب جُهداً ووقتاً أكثر من إعادة بنائها من الصِّفر.

تحدَّثتُ من قبلُ -في الفصل السابق من هذا الكتاب- عن أنواعٍ عديدة من المقالات الجديدة الرَّديئة التي تدخل ويكيبيديا كلَّ يوم، والتي يَكون الكثير منها تخريباً أو لهواً بحتاً، بينما بعضها يكتبها أصحابُها بنيَّة حسنة، لكنَّهم يرتكبون مخالفاتٍ صارخة لقواعد ويكيبيديا. في جميع هذه الحالات ومهما كانت الأسباب، سيكون الإجراء المطلوبُ هو الحذف.

لكن إن لم نكُن نريد لكلِّ المقالات التي يكتبها لنا أشخاصٌ يتبرَّعون بوقتهم وعملهم أن تختفي، فلا بُدَّ من وُجود نظامٍ دقيق للإشراف على عمليَّة الحذف، وهو، لحسن الحظ، بالتحديد ما لدينا إيَّاه في ويكيبيديا.

صلاحيَّة الحذف ليست متاحة في ويكيبيديا إلا للإداريِّين، وهُم عيِّنة مخضرمة جداً من المُجتمع بحيث أنَّهم لن يستعملوا هذه الصلاحية في حالات غير واضحةٍ إلا نادراً. مع ذلك، مُعظم المقالات التي تحذف كل يوم يتولَّى العُثور عليها والإبلاغ عنها المساهمون العاديُّون، فهُناك دوماً -لحسن الحظ- عددٌ من الأشخاص الذي يُكرِّسون وقتهم لمراقبة الصَّفحات الجديدة ومراجعتها، وعندما يرونَ شيئاً يعلمون أنَّه لا يستحقُّ البقاء على ويكيبيديا يضعون عليه علامةً ليستطيع الإداريُّون رؤيته وفحصه.

ولو وجد الإداريُّ أنَّ المقالة مخالفة يُمكنه حذفها مباشرة تُتيح هذه العملية لشخصين على الأقل أن يراجعا محتوى المقالة ويُقرِّرا ما إذا كان يجذب حذفها بالفعل، ممَّا يزيد موثوقية العملية، كما أنَّ على المُحرِّر الذي يضع علامة الحذف على المقالة أن يستشهد ببندٍ واضح من قواعد ويكيبيديا يدلُّ على المشكلة الموجودة في المقالة، ممَّا يضمن أن لا يُتَّخذ إجراءٌ بحقها إلا وفقاً لسياسات الموسوعة.

تُسمَّى هذه العملية الحذف السَّريع، لأنَّها تستهدفُ المقالات التي فيها مخالفات صارخة وحاسمة لقواعد ويكيبيديا، وعادة ما يراها إداريٌّ ويبتُّ في أمرها خلال ساعاتٍ معدودةٍ بعد الإبلاغ. ثمَّة آلية يستطيع فيها صاحب المقالة أن يطلبَ الحصول على مهلة قبل الحذف السريع، وذلك ليحصل على فرصة لإثبات أن مقالته غير مخالفة.

لا يُمكن للمقالات أن تندرج ضمنَ فئة الحذف السَّريع إلا لو كانت فيها مشكلة لا يُمكن التغاضي عنها بحسب قواعد ويكيبيديا ولا إصلاحها، ثمَّة صفحة مُفصَّلة في ويكيبيديا العربية تتحدث عن الحالات التي يُمكن فيها اللجوء إلى هذا الإجراء.

بما أنَّ المقالات الجديدة لا يكون قد راجعها أيُّ ويكيبيديون متمرِّسون بعد، فإنَّ نسبة كبيرة جداً منها تُحقِّق شروط الحذف السريع على الأرجح. من الحالات المُؤهَّلة للحذف السريع مثلاً أن تكون المقالة مُجرَّد عمل تخريبي واضح، أو دعاية صريحة لمنتجٍ أو شركة أو شخص، أو أن تكون خطابيَّة في أسلوب كتابتها، أو أن تكون مكتوبة بالكامل بلغة غير اللُّغة العربيَّة.

مع أنَّ مُعظم المقالات التي تحذف كلَّ يومٍ تكون حالات واضحة جداً بحيث يُمكنها أن تدخل مباشرة هذا النظام، إلا أنَّ نسبة صغيرة يُمكن أن تثير بعض الخلاف، فيُمكن أن لا يتَّفق جميع الويكيبيديُّون الذين يراجعون المقالة على أنَّها مخالفة للقواعد، وعندها تدخل المقالة عمليَّة «نقاش الحذف». يُمكن لأيِّ شخصٍ أن يطلب نقل مقالة من فئة الحذف السَّريع إلى نقاش الحذف، إلا لو رأى إداريٌّ أنَّ المقالة مخالفة على نحوٍ واضح جداً بحيث لا يستحقُّ الأمر عناء خوض نقاشٍ عنها.

بعد أن تدخل مقالة نظام نقاش الحذف، يُلقي مُساهمو ويكيبيديا نظرةً عليها ويبدون آرائهم حولها. على كلِّ شخصٍ يشارك في النقاش، سواء رأى حذف أو بقاء المقالة، أن يُوضِّح الأسباب التي تدعم وجهة نظره، ويأتي ببنودٍ من قواعد ويكيبيديا أو مصادر موثوقة تثبت كلامه، ويسير الحوار بعد ذلك وفقاً لقواعد وأسُس النقاش المتَّبعة في ويكيبيديا. يظلُّ النقاش مفتوحاً لمُدَّة أسبوعين أو ثلاثة في العادة، وبعدها يطَّلع عليه إداريٌّ ويُغلقه، بعد أن يحسم النتيجة بالحذف أو البقاء.

لا يَعتمد الإداري في قراره على رأيه الشخصي، بل هو يقرأ ما أدلى به المساهمون الآخرون ويحاول أن يُقرِّر من الطرف الذي أثبت وجهة نظره بطريقة أفضل، أو دعمها بمصادر أكثر موثوقيَّة. لو رأى أحدٌ أن قرار الإداري كان خاطئاً أو غير عادل، فبإمكانه إعادة فتح النقاش أو تقديم شكوى على الإداري. فثمَّة دائماً وسيلة لإعادة النظر في أي مقالة من المقالات.

في الواقع، مقالات ويكيبيديا لا تحذف أبداً، بل هي تختفي عن أنظار متصفِّحي ويكيبيديا ومساهميها العاديِّين فقط. لكن محتوى المقالات المحذوفة يظلُّ محفوظاً للأبد على خوادم الموسوعة، فضلاً عن كلِّ تعديلٍ وتغييرٍ أجري على الصَّفحة قبل حذفها. لذلك، يُمكن للإداريِّين دائماً أن يتراجعوا عن حذف أيِّ مقالة لو تبيَّن أنه كان قراراً خاطئاً.

يُمكن لأيِّ شخصٍ أن يطلب استرجاع مقالة محذوفة في صفحة خاصَّة، إذا ما كان يعتقد أنَّها تستحقُّ البقاء على ويكيبيديا وأنَّه ما كان يتوجَّب حذفها. عند طلب استرجاع مقالة، يجب أن يكون صاحبها مستوعباً لسبب حذفها، ولديه حُجَّة تثبت أن ذلك السبب كان باطلاً. سيراجع أحد الإداريِّين الطلب، ويُقرِّر ما لو كان صحيحاً أم لا. للأسف، مُعظم طلبات الاسترجاع تأتي من مساهمين جدد لا يفهمون كثيراً سبب حذف مقالتهم من الأساس، ولذلك فإنَّ الغالبية العُظمى منها ترفض.

٢. المنع من التحرير

تسمح ويكيبيديا لأيِّ شخصٍ يتصفَّح مقالاتها بتعديل محتوياتها بأيِّ طريقة يُريدها، هذا الأسلوب التعاوني هو الذي يجعل ويكيبيديا ناجحةً وعظيمةً الآن، لكن مثلما أنَّ هذا النظام يسمحُ لمن يقرؤون الموسوعة بتحسين المقالات وتصحيح الأخطاء التي يرونها، فهو أيضاً يفتح المجال للعبث والتخريب.

عادةً ما يكون التعامل مع العبث بسيطاً، فعلى الأغلب ما تحدث التخريبات بشكلٍ عارض من شخصٍ عشوائي يكون هدفه (فيما أتصوَّر) تجربة آلية تعديل المقالات أو الفضول لرؤية ما سيحدث لتخريباته، وفي هذه الحالات فبُمجرَّد استرجاع التخريب تنحلُّ المشكلة ولا يعود أحد للعبث بالمقالة. لكن بين الحين والآخر تواجه أشخاصاً يُكرِّسون وقتهم للتخريب، فيُمكن أن يعودوا إلى نفس المقالة مرَّة تلو الأخرى ليحرصوا على بقاء تخريبهم فيها، أو أن يعيدوا باستمرارٍ إنشاء مقالتهم المخالفة.

هدف هؤلاء الناس ليس بالضرورة العبث البحت، فبعضهم يعتقدون بالحقيقة أنَّهم يقومون بعملٍ جيِّد، إلا أنَّ تعديلاتهم تكون مخالفة لقواعد الموسوعة دون أن يدركوا ذلك، أو دون أن يريدوا إدراكه. مثلاً، عندما يُحاول شخصٌ تعديل مقالة خلافية حسَّاسة عن موضوع سياسي -كانتخابات الولايات المتحدة مثلا- لتعكس وجهة نظره، والتي يُؤمن تماماً بأنَّها وجهة النظر الصَّحيحة التي تنقل الأحداث بطريقتها الحقيقية، فهُو عندها يقوم بعملٍ سيء.

لأن واحدة من ركائز ويكيبيديا أنها تهدف لعرض وجهة النظر المُحايدة، ولذلك فعلى المقالات دائماً أن تعرض جميع الآراء المتوافرة حولَ موضوعها، وحتى لو كنت متأكداً تماماً من أنَّ تلك الآراء خاطئة فإنَّ ذلك ليس مُبرِّراً أبداً لأن تزيلها من المقالة.

عندما يُقابل إداري مستخدماً يصرُّ على ارتكاب المخالفات، مثل القيام بهذه التعديلات غير المقبولة، أو إعادة إنشاء المقالات المخالفة، أو مضايقة المُساهمين الآخرين في ويكيبيديا والتهجُّم عليهم، أو مُجرَّد العبث المستمر بصفحات الموسوعة، فعندها يلجأ إلى سياسة المنع.

جرت العادة في ويكيبيديا العربيَّة على استعمال مُصطلح "المنع" لهذه الكلمة، لكن الترجمة الأكثر رواجاً لها على الإنترنت العربي هي "الحظر" (Ban)، وهي في حالة ويكيبيديا تعني أن المُستخدم ممنوعٌ من استخدام حسابه في تعديل محتوى أي صفحة على الموسوعة حتى انتهاء مُدَّة المنع.

لا يشمل هذا المنع سوى ويكيبيديا العربية، إذ يظلُّ بإمكان المستخدم تعديل ما يُشاء في النسخ اللغويَّة الأخرى من ويكيبيديا. شروط المنع كثيرة وتتضمَّن كل أنواع المخالفات للقواعد في ويكيبيديا، لكنَّ مُدَّة المنع تختلف وفقاً لحجم المخالفة، وتاريخ المستخدم التخريبي، وتاريخ منع المستخدم.

من النادر أن يتلقَّى مستخدم منعاً للمرَّة الأولى تتجاوز مُدَّته ٢٤ ساعة. هذا إجراءٌ تحذيري تقريباً، هدفه أن يُوضِّح للمخالف جديَّة تطبيق قواعد ويكيبيديا وضرورة عدم تجاوزها، وعلى الأرجح أنَّ مُعظم الويكيبيديين المُخضرمين تلقوا منعاً من هذا النوع على مرِّ سنواتهم في الموسوعة.[١٧] يستخدم منع الـ ٢٤ ساعة في حالات محددة، منها قانون الاسترجاعات الثلاث (سنتحدّث عنها بعد قليل)، والتخريب عبر حسابٍ نشط (حسابٌ له تعديلات كثيرة)، أو الهجوم الشخصي عبر حساب نشط.

لكن عندما يكون للمستخدم تاريخٌ سيّء في المنع، فمن الطبيعي أن تزداد مُدَّة منعه مرة بعد الأخرى، أولاً لأسبوع، ثم لشهرٍ أو شهرين، وهكذا. عادة ما تتصاعد مُدَّة المنع بشكل تدريجي، لأنَّ هذه طريقة مناسبة لإعطاء المخالفين فرصاً إضافية ليلتزموا قواعد ويكيبيديا بجديَّة أكبر. في مُعظم الحالات تترك مُدَّة المنع لتقدير الإداري، لكن عندما تتجاوز حالات المنع السابقة خمسة أو ستة، وإذا ما كان المستخدم مصراً على ارتكاب مخالفات صارخةٍ باستمرار، يُصبح من الممكن تطبيق المنع الدائم عليه.

ليس المنع الدائم "دائماً" بالضَّرورة، فيُمكن لأي مستخدمٍ ممنوع من التعديل أن يتقدَّم بشكوى أو طلب رفع منع في أيِّ وقت، وسيُعيد أحد الإداريين النَّظر في أمره. لو كانت لديه دلائل واضحةٌ على أنَّه ظُلِمَ أو أنَّه لم يقصد مخالفة القواعد، فيُمكن بسهولةٍ أن يُرفَع المنع. من المُمكن أيضاً (لو كانت لديه تعديلات حسنة النيَّة في تاريخه) أن يُرفَع المنع عنه لإعطائه فرصة ثانية، فقد حصل ذلك لإداريِّين او مُستخدمين نشطين منعوا في ويكيبيديا العربيَّة من قبل. لكن إن كان سجل المستخدم الماضي تخريباً أو عبثاً بحتاً، فمن المُستحيل أن يرفع المنع عنه أي إداري.

---

(١٧) لا أود أن أتفاخر بالطبع، لكن سجل منعي هو واحدٌ من السجلات النادرة الظاهرة تماماً في موسوعتنا. بالنسبة إلى حساب عمره ٧ سنوات، لا بُدَّ من القول أني كنتُ ويكيبيدياً ممتازاً جداً!

في مُعظم الحالات لا يمنع إداريوُّ ويكيبيديا إلا المستخدمين المُسجِّلين، لكن لو قام نفس الشَّخص بإنشاء عدَّة حساباتٍ تخريبية، يُمكن أن يلجأ الإداري إلى منع عنوان الإنترنت (IP) كلِّه. هذا الإجراء غير مُفضَّلٍ عادة لأن أكثر من شخصٍ قد يستعملونَ نفس الآيبي، ولذلك فحتى عندَ تطبيقه، يكون المنع لفترةٍ محدود فحسب. من النادر أن تتجاوز مُدَّة منع عنوان الآيبي ٦ شهور، ومن النادر جداً أن يُمنَع منعاً دائماً.

٣. الحماية

إحدى المشكلات الشائعة في ويكيبيديا نزاعات التحرير. متى ما حصل خلافٌ في وجهات النظر بين شخصين حيال مقالة مُعيَّنة من مقالات الموسوعة، فمن الغالب أن ذلك سيؤدي إلى نزاع تحرير من نوعٍ ما. تنصُّ القواعد الرسميَّة على منع نزاعات التحرير تحت أيّ ظرفٍ وعلى وُجوب اتخاذ إجراءات إدارية حيالها إذا ما تجاوزت حداً مُعيَّناً، إلا أنَّه من الصَّعب ضبطُ هذه النزعات دائماً بالنَّظر إلى كثرتها الكبيرة.

يحدث نزاع التحرير عندما يصرُّ شخصان أو أكثر على إجراء تغييرَين متعاكسين في واحدةٍ من المقالات. بما أنَّ تعديل ويكيبيديا تحت الظروف العاديَّة مُتاحٌ لأيِّ شخص، فمن المُتوقَّع عند وُجود شخصين بوجهات نظرةٍ مختلفة يحاولان تغيير مقالة ما أن يُصرَّا على إجراء تعديلات مُتباينة، وإذا ما استمرَّا بتغيير محتوى الصَّفحة وفقاً لآرائهما الشخصية دون محاولة اللُّجوء إلى النقاش مع الطرف الآخر، ستصبُح المقالة في حالة «حرب تحرير».

من حالات حُروب التحرير الشائعة في ويكيبيديا العربيَّة مثلاً مُحاولة الكثير من المُساهمين الجُدد أو غير المُسجَّلين استبدال كلمة "إسرائيل" في مقالةٍ ما بـ"فلسطين". هذا التغيير مرفوضٌ في عددٍ كبيرٍ من الحالات، لأنَّ إسرائيل دولةٌ موجودةٌ في العالم ولها حكومة وسلطة ومؤسَّسات تحتاج كلُّها إلى مقالاتٍ في ويكيبيديا، ولو كنتَ تعتقد أن وُجود إسرائيل أمرٌ خاطئ أو غير أخلاقي، فذلك لا يُغيِّر شيئاً من حقيقة أنَّها موجودة، وبما أن ويكيبيديا تُوثِّق الحقائق، لا يمكن أن تقوم بتغييرٍ مثل هذا بناءً على آرائك الشخصيَّة.على الأغلب ما يَقوم بهذه التغييرات أشخاصٌ غير مُلمِّين بقواعد ويكيبيديا، وعندها سيأتي أحدُ المُساهمين المتمرِّسين و"يسترجع" التعديل، أي يُلغيه، وإذا ما عاد الشخص الجديد وأصرَّ على استبدال الكلمة بما أراده، فستقع حرب تحرير.

من وجهة نظر إداريَّة، حروب التحرير ظاهرةٌ سيِّئة جداً ويجبُ على الويكيبيديِّين المُتمرِّسين والإداريين التدخُّل لمنعها على الدَّوام. لضبط مثل هذه الحالات، تتَّبع ويكيبيديا سياسة الاسترجاعات الثَّلاث، تنصُّ هذه القاعدة على أنَّه من غير المسموح لأيِّ شخصٍ في ويكيبيديا وتحت أيِّ ظرفٍ من الظروف، أن يسترجع (يُلغي) تعديلاً لمُساهمٍ آخر أكثر من ثلاث مرَّات خلال ٢٤ ساعة. لو خرق أيُّ ويكيبيديٍّ هذه القاعدة، وحتى ولو كان إدارياً، سيُمنَع من تعديل أيِّ صفحةٍ على ويكيبيديا لمُدَّة يوم واحد على الأقل، ولو تكرَّرت المخالفة بعد هذا الإجراء التحذيريّ عدَّة مرات، يُمكن أن تصل العقوبة إلى المنع الدائم.

فائدة قاعدة الاسترجاعات الثلاث أنَّها لا تُعيق العمل الروتيني في ويكيبيديا، فمُعظم المخرِّبين والأشخاص الذين يعبثون بالمقالات بقصد اللَّهو والتسلية لا يَقومون بتعديلاتهم سوى مرَّة واحدة، ولذا يُمكن للويكيبيديِّين أن يسترجعوها على الفَور دون الخوف من الوُقوع في نزاعٍ تحريريّ. وأما عندما يسترجع أحدٌ تعديلات مُساهمٍ آخر ثلاث مرَّات مُتتالية، فذلك لا بُدَّ وأن يعني وُجود مشكلةٍ ما.

عند تجاوز الاسترجاعات الثلاث في نزاعٍ تحريريّ، يجبُ على الويكيبيديِّين الواقعين في الخلاف التوقُّف على الفور عن تعديل المقالة والتوجُّه إلى صفحة النقاش لكي يتعرَّفا على وجهة نظر الطرف الآخر، عندها سيبدأ حوارٌ يتَّبع قواعد ويكيبيديا، يُطلَب فيه من كلا الشَّخصين المتخالفين الإتيان بمصادر موثوقةٍ تُثبت وجهات نظرهما.

هذا الأسلوب لا ينجح دائماً، فمن المُحتمل أن يستمرَّ الخلاف ويُصِرَّ كلُّ طرفٍ على رأيه، وعندها سيدخل النقاش حلقةً مفرغة، ويُمكن أن ينتهي دون نتيجة. من جهةٍ أخرى، عندما يَنجح هذا الأسلوب فهو يُحلُّ الخلاف بالطريقة المثالية، لأنَّ المقالة ستتمكَّن عندها من أن تعكس جميع وجهات النظر بطريقةٍ وسطيَّة توافقيَّة.

لكن، إذا رفضَ أحد الأطراف الانصياع للقواعد يتطلَّب الأمر عندها تدخُّلاً إدارياً. أوَّل إجراءٍ يتخذه الإداري في مثل هذه الحالة هو الحماية، وهي خاصية لا تسمح للمُستخدمين العاديِّين بتعديل مُحتوى المقالة. على الأغلب ما تكون الحماية إجراءً مُؤقَّتاً يدوم لـ ٢٤ ساعة أو ثلاثة أيام، فهدفه الرئيسي هوَ إيقاف حرب التحرير وإجبار الأطراف المتنازعين على التوقُّف عن التلاعب بالمقالة والاحتكام إلى النقاش، لكن في بعض الحالات يُمكن أن تجتذب المقالة التخريب ونزاعات التحرير بصورةٍ مُتكرِّرة، وعندها يُمكن أن توضع تحت حمايةٍ دائمة.

مقالات الشيعة والصحراء الغربية والقدس أمثلة بارزة على الحماية لدينا، فتعديل هذه المقالات ممنوعٌ بالنسبة لجميع المستخدمين الجُدد في ويكيبيديا العربية منذ سنوات. يُمكن أن تختلف مستويات الحماية أيضاً، فمُعظم المقالات تكون محميَّة بحيث يقتصر تحريرها على مجموعة المحرِّرين، وهم المستخدمون المتمرِّسون والموثوقون على ويكيبيديا، لكن ضمنَ ظروفٍ مُعيَّنة يُمكن أن لا يُسمَح سوى للإداريِّين بتعديل المقالة. لو عاد أحد المتنازعين إلى العبث بالمقالة بعد انتهاء مُدَّة الحماية، يُمكن أن يلجأ الإداريُّ إلى المنع.

استمرَّت أطول حالة نزاع تحرير معروفة[١٨] في تاريخ ويكيبيديا العربية لمدَّة خمس سنواتٍ متَّصلة، وأجري خلالها أكثر من ٨٠٠ تعديل. حيث بدأت في منتصف سنة ٢٠٠٩، وظلَّت مُستمرَّة حتى نهاية عام ٢٠١٤ عندما تدخَّل أحد الإداريين ووضع المقالة المعنيَّة تحت الحماية، بحيث لم يَعد من الممكن استمرار النزاع. المثير للسخرية في الأمر هو أن المقالة التي دار عليها هذا النزاع العظيم لا تتلقى أكثر من ١٠٠ زيارة شهرياً (بالتالي فهي من أقل مقالات ويكيبيديا العربية من حيث الزيارات)، وهي عن وزير اتصالات سعودي يدعى "علي طلال الجهني". أما طبيعة المعلومات التي كان الخلاف يدور حولها، فهي ليست أكثر من تاريخ ميلاد الرجل واسم عائلته.

٤. تدقيق المستخدمين

يُمكن لعقوبة المنع أن تتخلَّص من التخريب الذي يُحدثه شخصٌ واحد، لكن في بعض الحالات نقابل أوضاعاً أكثر تعقيداً. أحياناً يصل اهتمام شخصٍ ما بالعبث بإحدى المقالات أو الإساءة إلى ويكيبيديا، إلى حدٍّ أن يصنع حساباتٍ مُختلفة باستمرارٍ لتساعده على إحداث التخريب. هذا الوضع ليس نادراً كثيراً، فهو يتكرَّر مرة كل بضعة أسابيع في النُّسخة العربيَّة، وعادةً ما يكون سببه أنَّ المخرِّب شعر بأنَّه تعرَّض إلى إساءة شخصية عند منع حسابه الأصلي، لذا يُقرِّر فتح حسابات جديدة لإرسال رسائل بذيئة إلى الإداريّ الذي طرده، أو للحرص على بقاء تخريبه في إحدى المقالات.

(١٨) يعود الفضل في اكتشاف هذا النزاع لرامي طراونة، أحد الإداريين في ويكيبيديا العربية، حيث وقعت يده على النزاع في وقت ما من سنة ٢٠١٣، وكان اكتشافاً مثيراً للاهتمام بحيث حرص على إعلام مجتمع الويكيبيديين العرب به.

توجد أداةٌ خاصّة في ويكيبيديا للتعامل مع هذا الوضع، تُسمَّى أداة تدقيق المستخدمين. "التدقيق" صلاحيّة حساسة جداً، لأنَّها تسمح لصاحبها بالاطلاع على معلومات خصوصية عن مستخدمي ويكيبيديا، مثل أرقام عناوين اللإنترنت IP وعناوين البريد الإلكتروني، ولذلك فهي لا تُعطَى إلا لأفرادٍ يثق بهم مُجتمع ويكيبيديا ثقة عالية، بالإضافة إلى أنَّها -لأسباب قانونية- لا تُعطى إلا لمن يَزيد عمرهم عن ١٨ عاماً.

عندما يرى أحدٌ عدَّة حساباتٍ جديدةٍ تقوم بتعديلات متشابهة وغير طبيعية حول مقالةٍ ما، أو تُستَعمل للردِّ ضد شخصٍ مُعيَّن، أو تُصوِّت آلياً لصالح ويكيبيديٍّ مُرشَّح للإدارة (وهذه حالة نادرة، لعلَّها لم تحدث حتى الآن في ويكيبيديا العربية)، يُمكنه أن يُقدِّم طلباً لتدقيق المستخدمين. بسبب حساسيَّة هذه العملية، لا يُوافق مدققو المستخدم على إجرائها إلا لو توافرت أسبابٌ جيِّدة تماماً للشك بأن الحسابات تعود إلى نفس الشخص.

بشكلٍ رئيسي، عمل مُدقِّق المستخدم هو التأكد ممَّا لو كانت الحسابات تدخل ويكيبيديا من نفس رقم الآيبي، أو من أرقامٍ متشابهة على نحوٍ مثير للريبة. تُسمَّى الحسابات المتعددة التي يستعملها شخصٌ واحدٌ "دمى الجورب"،[١٩] ولو ثبتَ أن أحد مستخدمي ويكيبيديا لديه دمى جوربٍ يسخدمها لأغراض تخريبية، فستمنع جميع حساباته الإضافيَّة منعاً دائماً، وأمَّا هو نفسه فيُمكن أن يتعرَّض لمنع مدته تتراوح من عدَّة أسابيع إلى منع دائم، بحسب الحالة ومدى إساءة الاستخدام. استعمال دمى الجورب في التخريب هو واحدٌ من أسوأ خروقات القواعد في ويكيبيديا، وهو أحد الأسباب الأساسيَّة للمنع الدائم.

(١٩) هذه ترجمة حرفيَّة للاصطلاح الإنترنتي الإنكليزي: Sock puppet.

٥. شكاوى الإداريِّين

ثمَّة في ويكيبيديا آليَّات كثيرةٌ لعلاج المشكلات العارضة بين المُساهمين أو الخلافات على المقالات، والحقيقة أنَّه ليس من الصَّعب كثيراً وضعُ نظامٍ للتعامل مع مثل هذه الحالات، لأنَّه ثمة دائماً مسؤولون كثيرون (يتمثَّلون بالإداريين) قادرون على فرض القواعد، لكن التحدي الفعليّ يأتي عندما يتطلَّب الأمر وسيلة للتعامل مع مخالفات المسؤولين أنفسهم، فما العمل لو استغلّ إداريٌّ صلاحياته وسلطاته لفرض ما يحلو له على الآخرين؟

هناك دائماً عددٌ كبيرٌ جداً من المهام الضرورية في ويكيبيديا، وعددٌ صغير من الإداريين والمُحرِّرين المستعدين لتنفيذ هذه المهام، لذلك فمن الصَّعب في الغالب أن يُراجع أحد نشاط المساهمين الآخرين وأن يتأكد من قيامهم بعملهم بالطريقة الصَّحيحة. من المحتمل دوماً أن يقع تجاوزٌ دون أن يلاحظه أحد من مساهمي ويكيبيديا، ولذلك نلجأ إلى الشكاوى أو "التظلُّمات" التي يتقدَّم بها الشخص الذي تعرَّض لإساءة معاملة من أحد الإداريين، يُمكن تقديم هذه الاعتراضات في صفحة مشاكل الإداريِّين على ويكيبيديا العربية.

بما أنَّ مُعظم أصحاب هذه التظلُّمات هُم أشخاص جددٌ على ويكيبيديا ولا يفهمون القواعد ولا آليات سير الأمور كثيراً، فعلى الأغلب ما يتحاملون على الإداري الذي حذف مقالتهم أو أزال تعديلاتهم، ويظنُّون أنَّه كان يَتجاوز صلاحياته، لكنه (في معظم الحالات) يكون قد ساعد على تطبيق سياسات ويكيبيديا المُعتمدة لا أكثر. لهذا السبب، يتجاهل الإداريون أو يردُّون باقتضابٍ على غالبية الشكاوى التي يتلقَّاها زملاؤهم، فطالما أنَّه لا يوجد دليل دامغ على أنَّ إدارياً خلف قواعد ويكيبيديا قاصداً، فهو لن يُكلَّف أي عقوبة.

مع ذلك، يحدث مرة كل فترة طويلة أن يأتي تظلُّم غير معتاد، شخصٌ تعرَّض لإساءة معاملة حقيقية من إداري في ويكيبيديا، وهذه الحالات لا يُمكن السكوت عنها. لن أزعم أنَّ كل شخصٍ ظُلِمَ في تاريخ ويكيبيديا رُدَّ له حقُّه، لكن يُمكنني القول أن عدداً كبيراً من المظلومين حظوا بحقِّهم في نهاية المطاف.

بطبيعة الحال، من يعملون في ويكيبيديا هم مُجرَّد بشر، وقد يكون من الصَّعب عليهم التعامل بالصرامة المُطلقة التي تنصُّ عليها القواعد دائماً. فعندما تتعامل مع مساهمٍ قديم في الموسوعة، قضى سنواتٍ وهو يعمل فيها ويتبرَّع بوقته وجُهده لها، وقام بخدماتٍ عظيمة لها، وفوق ذلك تكون على معرفة شخصيَّة عميقة به، فلن يكون من السَّهل أن تسحب منه صلاحيات الإدارة أو تطرده لمجرَّد أنه ارتكب مخالفة ما.

ا. حلّ الشكاوى الإدارية

يُمكن أن تأخذ مناقشة مخالفة إدارية أياماً وأسابيع كثيرة للبتِّ فيها، وعادة ما يُشارك فيها مُعظم الإداريين وشريحة واسعة من أعضاء المُجتمع. لم أشهد، أثناء سنوات عملي السبعة في ويكيبيديا العربيَّة سوى حادثتين من هذا النوع، وقد شكَّلتا -في حينهما- مصدر قلقٍ واضطراب للموسوعة كُلِّها، فجميع أعضاء المجتمع النشطين كانوا على اطلاع بما يَجري، وكانت لديهم آراء مختلفة ومتفاوتة حول كيفيَّة التعامل معه.

في الحالة الأولى التي شهدتها، قام إداريٌّ بمنع حساب مستخدم جديد دون أي سببٍ سوى أن مُشكلة شخصيَّة وقعت بينهما. فقد أراد المستخدم إضافة محتوى مُعيَّن لمقالة، وذلك المحتوى لم يُعجب الإداري، ثم تطوَّر الأمر إلى خلافٍ شخصي انتهى بمنع الحساب الجديد.



لكن عند رفع الشكوى، انصدم مُعظم الإداريين من هذا السلوك وبدؤوا بمناقشة خيار المنع المؤقت، لكنَّ الإداري صاحب المخالفة ارتكب عدَّة أفعالٍ غير مقبولة بعد أن أصدرت الشكوى بحقه بالفعل، مثل إنشاء دمى جورب (حسابات جديدة) لإلقاء حُججٍ في صالحه، واتخاذ المزيد من إجراءات المنع التعسُّفية ضدَّ حسابات المستخدمين الذين أدلوا بآراءٍ ضده. عند اكتشاف تلك الأفعال، تقرَّر فوراً رفع عقوبته إلى المنع الدائم.

وأما في الحالة الثانية، فقد حاول إداري إرسال رسائل خاصَّة إلى عددٍ من المساهمين النشيطين في ويكيبيديا العربيَّة، يحثُّهم فيها على التصويت ضد منح الصلاحيات الإدارية لشخصٍ مُرشَّح لأنه لا يحبُّه. تضمنت الرسائل تهديدات وألفاظاً بذيئة، وقد تلقيتُ -شخصيا- بعضاً منها. قام عددٌ من المساهمين الذين تلقوا الرسائل بعرضها في مكان عامٍ على المُجتمع، وفضح أفعال الإداري، فبدأت مناقشة طويلة استمرَّت لأسبوع أو اثنين.

كان من الصَّعب التوصُّل إلى نتيجة واضحة حيال الإجراء الذي يجب اتخاذه، إلا أنَّنا لم نضطر لاتخاذ قرارٍ في نهاية المطاف، لأن الإداري بنفسه تنازل عن صلاحيته وقرَّر اعتزال العمل في الموسوعة بعد الموقف الذي تعرَّض له.

لم أرى من قبل أي إداري تسحب منه الصلاحيَّات قسراً أو يستقيل بسبب حادثة مُعيَّنة إلا في هاتين المرَّتين. لعلَّ حالتين، خلال سبع سنوات، ليستا دليلاً مُطلقاً على فاعلية نظام الشكاوى في ويكيبيديا العربيَّة، لكن من جهة أخرى. يُمكنني القول أنني لم أرى إدارياً يرتكب مخالفات صارخة من قبل إلا في هاتين الحادثتين، وكلتاهما انتهتا بفقد الشخص المعني لصلاحيته الإدارية.

على الأقل، عندما دعت الحاجة إلى استعمال نظام الشكاوى في موسوعتنا، فقد أثبت فاعليته الكاملة، وجاء بالنتائج المطلوبة منه تماماً. وعلى كل حال، الصَّرامة الزائدة في التعامل مع الإداريين ليست بالضرورة أمراً جيداً، لأن كل إداري تفقده ويكيبيديا، يعني وُجود عددٍ كبيرٍ من الأعمال العالقة التي لن يُوجد أحد ليتولاها.

كيف تؤلَّفُ

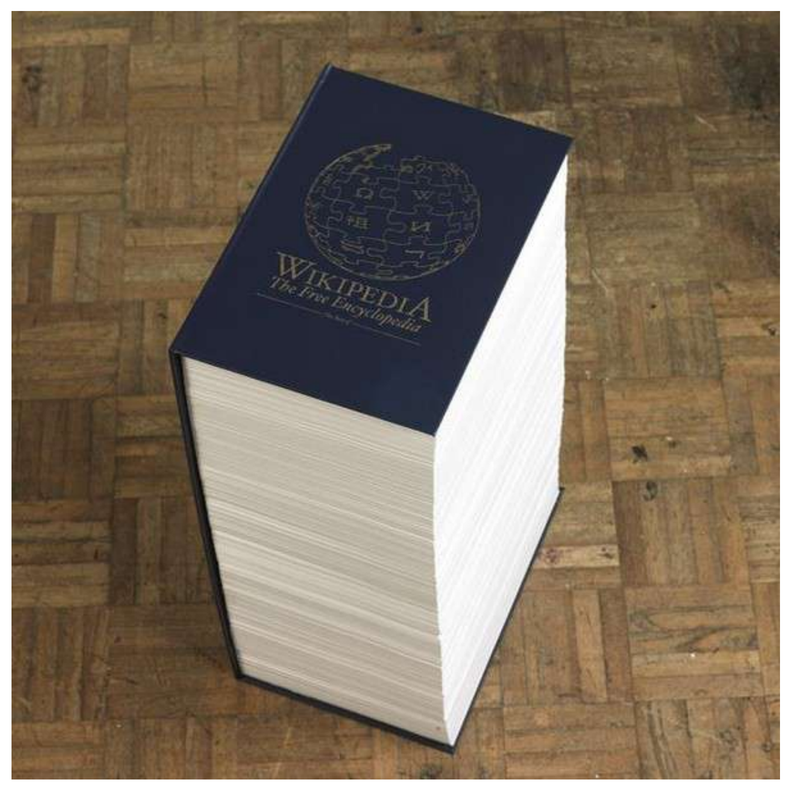
مقالات ويكيبيديا؟

١. ويكيبيديا لا تؤلِّف المقالات

أعتذر لأنَّ عنوان هذا القسم قد يكون مضلِّلاً قليلاً، فـ"التأليف" بمعناه الحقيقي لا وجود له على ويكيبيديا، إنَّما احتجتُ لاستعمال المصطلح لكي ألفت انتباهك إلى مسألة مُعيَّنة، حيث أنَّ لدى عامة الناس نظرة سائدة عن ويكيبيديا هي أنها "تؤلف" و"تخترع" المقالات، لكن وكما قد تكونُ لاحظتَ بالفعل مما ناقشناه عن المصادر من قبل، فإنَّ هذه الفكرة خاطئة تماماً. وسأعرِّفك الآن على الطريقة الحقيقية التي تُكتَب بها مقالات ويكيبيديا، وهي -حقيقة- شبيهة شبهاً شديداً بطريقة تأليف أي موسوعة رصينة تبتاعها من إحدى المكتبات.

في أساس الأمر، من يكتبون في ويكيبيديا ليسوا مُخوَّلين (على أساسٍ نظريّ) لوضع الكلام الذي يُعجبهم في مقالاتها، وإنَّما عملهم يفترض أن يَقتصر على البحث عن المعلومات في مصادرها المعتمدة من كتب ودوريات ومنشورات وجمعها في مكانٍ واحد. هذا الأمر ليس مُمتعاً ولا سهلاً بقدر كتابة مقالة من وحي خيالك وأفكارك، لكنَّه هو ما يجعل ويكيبيديا موسوعة ذات شأن.

أرجو أن تأخذ بعين الاعتبار أنَّ الأسلوب الذي سأتحدث عنه الآن هو الذي يتَّبعه الويكيبيديُّون المتمرِّسون فقط، وبطبيعة الحال هم أقليَّة، فويكيبيديا يكتبُ عليها مئات الأشخاص المجهولين كلَّ يوم. عليك أن تتوقَّع أنك لن تصادف مقالات مكتوبة بهذا الأسلوب المُتقن كل يوم على موسوعة بكرٍ مثل ويكيبيديا العربية، لكن في موسوعة جيّدة كويكيبيديا الإنكليزية ستكون هي السَّائدة في مُعظم الوقت.



هذه نسخة حقيقية مطبوعة من ويكيبيديا الإنكليزية! لا تتحمَّس كثيراً. فهي لا تغطّي سوى ٥,٠٠٠ مقالة، الباقي سيحتاج إلى عددٍ أكبر بكثير من الأوراق.

لو كنتَ قرأت قسم الركائز الخمس، ستتذكَّر أنَّ إحدى ركائز ويكيبيديا هي الاستشهاد بالمصادر، فالتوثيق بالمصادر هو جزء أساسيٌّ من عملية كتابة المقالات في موسوعتنا. في حالة مثالية، يجب أن تكون كل معلومة مُدرَجة في أي مقالة بويكيبيديا مرفقةً بمصدر أكاديمي موثوق يدلُّ عليها. فبصورةٍ رئيسية، لا يُتوقَّع من محرِّري ويكيبيديا على الإطلاق ولا في أيِّ ظرفٍ من الظروف أن يكتبوا المقالات بناءً على معرفتهم الشخصيَّة، بل حصراً على ما يجمعونه من مصادر خارجية موثوقة. كيف تسير العملية؟

أ. كيف نستخدم المصادر؟

إذا أردتَ العمل على كتابة مقال، فيفترض عليك أن تبدأ العمل بجمع أكبر عددٍ ممكنٍ من المصادر. يمكن لهذه المصادر أن تكون مواقع إلكترونية، أو صحفاً، أو دوريَّات ومجلات، أو كتباً، أو أيِّ نوعٍ من الوثائق المكتوبة يمكن الوصول إليه طالما أنَّها منشورة (بحيث أنَّه يمكن للآخرين الرجوع إليها لو أرادوا التحقُّق منها أو الاطلاع عليها). وعلى هذه المصادر أن تكون موثوقة، إلا أنَّ الموثوقية معيارٌ مطَّاط ستحتاج بعض الوقت والخبرة لتستطيع تحديده بصورةٍ جيّدة، لكن على نحوٍ عامٍّ فمن المفضَّل محاولة الاعتماد على منشورات أصدرتها جهات معروفة أو مؤلفون معتبرون.

لا يوجد عدد مُعيَّن من المصادر التي يجب الاعتماد عليها، لكن كلَّما ازدادت كان أفضل، لأنَّ تنوُّع المصادر المستعملة سيجعلها أكثر حياديَّة في عرض موضوع المقالة، وأكثر شموليَّة بتناولها من مختلف الجوانب. فكِّر بالأمر كما لو أنَّك تريد إجراء تحقيق صحفي حول حادثةٍ ما، فكلَّما تحدَّثت إلى عددٍ أكبر من الشهود، ستحصل على المزيد من التفاصيل ووجهات النظر التي قد تكون غابت عن بعضهم.

الآن، ما نفعله بعد ذلك هو عمليَّة مجهدة قليلاً، حيث نبدأ بفتح كلِّ واحدٍ من المصادر الموجودة لدينا ونقرأه بانتباه، ثم نبدأ بكتابة المقالة جزءاً جزءاً، محاولين -أثناء كتابة كل جزء- الاطلاع على كلِّ مصدر من المصادر المتوافرة عندنا مرَّة أخرى واستخراج كل المعلومات المهمَّة الموجودة فيه، وننسبُها إلى المصدر الذي أُخِذَتْ منه بكل دقة. فمثلاً، لو كنتُ أكتب مقالة عن دولة مصر وأردتُ البدء بموضوع التاريخ، فسأفتح مصادري واحداً واحداً وأبحث في كل واحدٍ منها عن كلِّ ما يتعلَّق بتاريخ مصر، ثم سأجمع كل المعلومات المهمة التي أجدها وأضعها في القسم بترتيب أحداثها التاريخي،بعد تتذييلِ كل معلومة بالمصدر الذي أخذتُها منه.

لكن هنا تتعقّد الأمور قليلاً، إذ عليك أن تدرك أنّ معظم المصادر التي نستعملها أو جميعها (سواء أكانت كتباً أو دوريّات أو غيرها) تكون محمية بحقوق الملكية الفكرية، وبالتالي لا يمكن اقتباس أيّ نص منها بشكله الحرفي، لأنّ ذلك يعتبر خرقاً قانونياً، حيث أن ويكيبيديا لا تقبل عليها سوى المحتوى الحر. حلُّ هذه المشكلة بسيط، حيث أنّ علينا أخذ كل عبارة من المصدر ثم إعادة صياغتها بأسلوبنا الخاص، وليس علينا فعل أي شيءٍ إلا وضع نفس المعلومة المطلوبة بجملة مختلفةٍ قليلاً، بحيث نثبتُ أنّنا لا ننقلُ ما كتبه شخص آخر بشكلٍ حرفيّ.

لو كان المصدر المُستخدم في كتابة المقالة أجنبياً فستحلُّ هذه المشكلة تلقائياً، حيث أنّنا ولكي نترجم العبارة من لغةٍ أخرى، نضطرُّ بطبيعة الحال إلى إعادة صياغتها بطريقةٍ جديدة. تفسيرُ هذا الأمر هو أنّ اقتباس النص بحرفه سيكون سرقة لعملٍ إبداعي قام به شخص آخر، لكنّ اقتباس المعلومات الواردة في النص لا يُمكن أن يكون كذلك، لأنّ المعلومة بحدِّ ذاتها ليست حكراً على أحد، ولو وُضِعَت في نصٍّ جديد من صياغة شخصٍ آخر، ستكون حُرَّة من حقوق الملكية الفكرية جميعها.



ورشة لكتابة مقالات على ويكيبيديا في بروكسل، أبريل ٢٠١٦.

ب. المصادر في ويكيبيديا

تنصُّ القوانين الرسمية على ضرورة توثيق كل مقالةٍ على الموسوعة بالمصادر بالطريقة الآنفة، لكن على أرض الواقع، يصعُب تطبيق هذا القانون بأسلوبٍ صارم. فمعظم كتاب المقالات الجُدد لا يطلعون جيِّداً على السياسات، وسيصعُب عليك إقناعهم -خصوصاً لقلَّة معرفتهم بالموسوعة- بفكرة أنَّ عليهم إيجاد مصدرٍ لكل معلومة في مقالتهم، لذلك، وإن أردنا الحفاظ على مبدأ الموسوعة التي يكتبها الجميع، سنكون مضطرّين للتساهل قليلاً في هذا المجال للوقت الحاضر.

يمكن القول أن الغالبيَّة العُظمَى من مقالات ويكيبيديا الإنكليزية موثَّقة بعددٍ كبيرٍ من المصادر الجيدة، ليس بالضرورة أن تجد توثيقاً لكلّ عبارة في المقالة، خصوصاً عند التعامل مع موضوعٍ مُتخصِّص، إلا أنَّك ستجد في أي مقالة عدداً معتبراً من المراجع. أما في حالة ويكيبيديا العربيَّة فإنَّ الأمر معاكس، فغالبية المقالات لا زالت غير موثَّقة بأي مصادر، لكننا بدأنا نحرز تقدُّماً كبيراً على هذا الجانب في السنوات الأخيرة، وأعتقد أنَّ أي مقالة أساسية عندنا الآن -مثل مقالات البلدان والمدن الكبرى والشخصيات الشهيرة- موثَّقة جزئياً أو كلياً بمصادر جيّدة.

ج. الترجمة من النسخ الأخرى

من جهةٍ أخرى، هناك طرقٌ بديلة وسهلة لتجنُّب هذه العملية الطويلة. فكثيرٌ من الموسوعات الشقيقة، وأهمُّها ويكيبيديا باللُّغة الإنكليزية، لديها مقالات مكتملة وموثَّقة جيداً بالمصادر عن معظم المواضيع. لذلك، بدلاً من البدء من نقطة الصفر بأنفسنا، يمكننا الذهاب إلى النسخة الإنكليزية من المقالة وترجمتها مع مصادرها الغنية، وبذلك سنوفِّر كثيراً من الوقت والجُهد.

بحقيقة الأمر، يتبع الغالبية الساحقة من الويكيبيديّين العرب أسلوب الترجمة هذا لتسهيل العمل، وهو فعَّال جداً وكاف في أغلب الحالات. أنا شخصياً لا أكتب المقالات في الأحوال العاديَّة إلا بالترجمة من الإنكليزية، لكن عندما يكون عندي موضوعٌ مُعيَّن لديَّ اهتمامٌ كبير فيه وأريد كتابة مقالة مُتميِّزة عنه، فإنني أفضل الاعتماد على مصادري الخاصَّة لأستطيع الوصول إلى مقالة بالجودة والمستوى الذي أريده، عوضاً عن أن أكون مجبراً على أخذ المقالة الإنكليزية كما هي.



هذا ما تتطلّبه طباعة ويكيبيديا على الورق.

في ويكيبيديا الإنكليزية، عادةً ما تكون المقالات العلمية رصينة جداً. كُتَّاب هذه المقالات ليسوا أكاديميِّين أو خبراء، لكنهم بمُعظمهم يكونون من فئة من المهوسين Geeks المطّلعين تماماً والمهوُوسِين بالمجال العلمي الذي يكتبون عنه، وهم يعتمدون في الغالب على مصادر أكاديمية معتبرة يقضون أوقاتاً طويلة جداً بتقصّيها والبحث فيها، فيخرجون في النهاية بمقالات ممتازة الجودة. بل في الواقع أن المقالات العلمية في ويكيبيديا الإنكليزية عادةً ما توغل بالتفاصيل الأكاديمية وبالجوانب الاختصاصية من الموضوع إلى حد بعيد، بحيث يصبح فهمه صعباً كثيراً في بعض الأحيان بالنسبة لغير المُتخصِّصين.

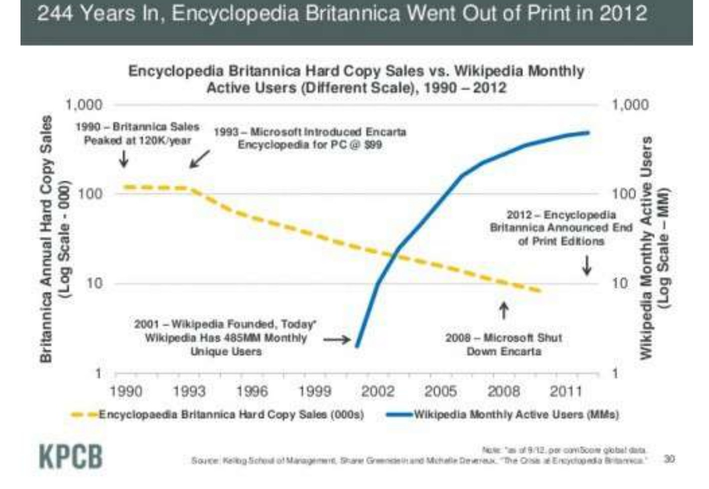
الكتابة في ويكيبيديا ليست أمراً سهلاً، وهي تتطلَّب مقداراً من التعلُّم والخبرة لإنجازها بالطريقة الصَّحيحة، لكن ذلك هو ما يجعلُها موسوعة حقيقية موثوقة، فليس من السَّهل ابتداع الحقائق والإلقاء بها في ويكيبيديا دون أن يكون لها مصدرٌ يُثبتها.

٢. ما مدى وثوقك بموسوعة مفتوحة؟

بمناسبة الحديث عن هذا السؤال، الذي سمعته -بصياغاتٍ مختلفة قليلاً- عدداً هائلاً من المرات حتى أني لا أرغب بالكتابة عنه الآن، دعني أبدأ بإيضاح نقطة جوهرية. ويكيبيديا تسمح لأي شخصٍ بتعديل أو كتابة مقالاتها، لكنَّها لا تبقي على كل تغيير أو إضافة من هؤلاء الأشخاص. بالحقيقة، أغلبية تعديلات المستخدمين "المجهولين" (من لم يكتبوا في ويكيبيديا من قبل) تُلغَى خلال حوالي ٢٤ ساعة من إجرائها.

فـي حالـةٍ طبيعيّـة، يُمكـن أن يفضِّـلَ مُعظـم النـاس مراجعـة مصـدرٍ علمـي نقَّحـه خـبراء أو متخصِّصون عوضاً عن مقالاتٍ يكتبها متطوعون غريبو الأطوار على "ويكيبيديا". لو أردنا التفكير بالموضوع منطقياً، فلا شكَّ بأنَّ فريقاً من الأكاديميين والباحثين سينتجون مقالاتٍ أفضل بكثير من مقالات المتطوِّعين لدينا. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لو جعلنا حقَّ الكتابة في ويكيبيديا مقتصراً على المتخصِّصين، هل كان بإمكاننا أن نحصل يوماً على ويكيبيديا مثل التي لدينا الآن؟ الإجابة على الأرجح هي لا.

السَّبب في ذلك هو أنَّ المتخصِّصين، مع أنَّهم يقدمون مقالاتٍ أكثر كفاءة، إلا أنَّ عددهم -ببساطة- قليل جداً. فمع أنَّ أصحاب الشهادات الجامعية العالية سيكونون أكثر اطلاعاً وخبرةً في مجالاتهم ممَّن يكتبون مقالات ويكيبيديا، إلا أنَّهم بالحقيقة لا يستطيعون إنتاج مقالاتٍ أفضل من مقالات ويكيبيديا. بل بالحقيقة، الأمر فعلياً هو أنهم غير قادرون على بناء مثيلٍ لها حتى ولو حاولوا، لأنَّ عددهم ضئيل جداً، ووقت فراغهم محدود للغاية، وهذا يجعل قدرتهم على إنتاج محتوى غزيرٍ ومرتفع الجودة أقلّ من مساهمي ويكيبيديا الحاليِّين.



في عام ٢٠١٢ أوقفت الموسوعة البريطانية إصدار نُسخها المطبوعة للمرّة الأولى مُنذ قرنين ونصف، مُقارنةً بذلك، يزدهرُ عدد مستخدمي ويكيبيديا بسُرعة مطّردة.

لقد جرَّب جيمي ويلز نفسه بالواقع، قبل تأسيس ويكيبيديا بسنةٍ واحدةٍ فقط، أن يؤسّس موقعاً مماثلاً لها تماماً (كان اسمه نوبيديا)، عدا أنَّ الكتابة فيه مقصورةٌ على الباحثين والخبراء، لكن النتيجة كانت أنه لم يحصل إلا على مقالاتٍ معدودة كل شهر. علاوة على ذلك، لم يكن يُمكن أن يعمل (في مُعظم الحالات) على كلّ واحدةٍ من هذه المقالات سوى شخصٌ واحد، بسبب قلَّة عدد المتطوعين المتاحين، ولذلك فعلى الأرجح أنَّ أحداً لم يكن ليأتي ويراجع عمله إلا بعد سنوات طويلة.

بالمُقابل، عندما تكتب مقالة في ويكيبيديا الآن سيراها عشرات الأشخاص خلال ساعاتٍ من إضافتها، ومئاتٌ أو آلافٌ على مرِّ الشهور والسنوات التالية. حتى لو كان عددٌ من يتجرَّؤون على تعديل المقالة وتغييرها صغيراً، فإنَّ الكم الهائل من زوار ويكيبيديا يجعل قدرتها على تصحيح الذات عالية جداً، ويُصبح بقاء الأخطاء عليها صعب الحدوث.

ولو أعطيتَ مقالة لأكاديمي واحدٍ وويكيبيدي واحدٍ ليراجعاها، فمن المؤكَّد أن الأكاديمي سعطيك مراجعة أدقَّ بكثير، لكن، عندما مقارنة عمله بعمل ١٠٠ أو ١,٠٠٠ ويكيبيدي راجعوا المقالة واحداً تلو الآخر، وصحَّحوا أخطاء بعضهم، فستحصل على نتيجة مقاربة جداً.

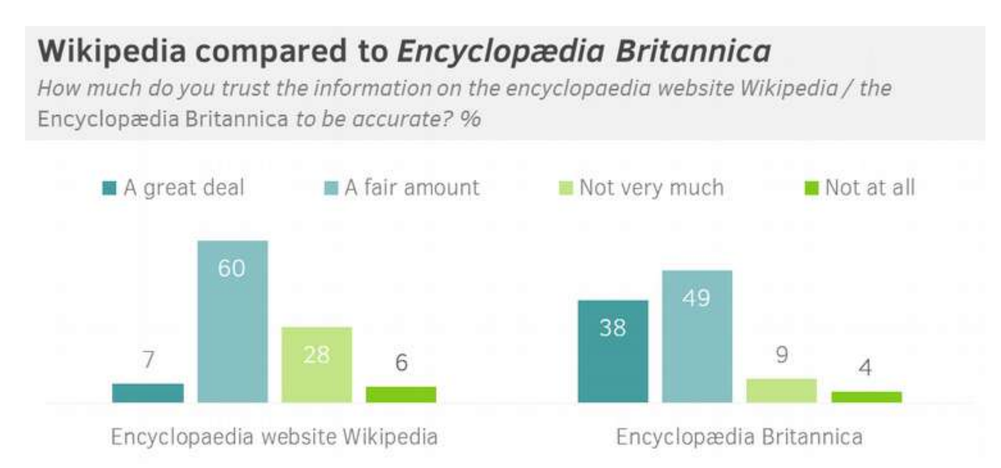
عدا عن ذلك، تُعطي آليَّة العمل في ويكيبيديا عند حدوث أيِّ خلافٍ على محتوى المقالات بصورةٍ تلقائيَّة أفضليَّة للمعلومة الصحيحة على المعلومة الخاطئة، ممَّا يضمن تصحيح محتواها على مرِّ الوقت.

مثلاً، لو شاهد أكاديمي مقالة في ويكيبيديا، ولاحظ خطأ واضحاً فيها، لكنَّ شخصاً آخر أقلَّ تعليماً اعترض عليه وحاول الإبقاء على الخطأ، فمن المحقَّق أن الأكاديمي هو من سيفوز النقاش. السَّبب هو أنَّ الخلافات في ويكيبيديا لا تحل بناءً على آراء عشوائية، بل على الاستدلال بمصادر علميَّة موثوقة.

فعندما يحدث هذا الخلاف، سيكون الباحث الأكاديمي قادراً بسهولةٍ على الإتيان بمصادر رصينة تدعم وجهة نظره، فيما أنَّ خصمَه سيأتي بأحسن الأحوال بمواقع إلكترونية رخيصة، وبالتالي سيكون حسم المسألة سهلاً جداً لصالح المصدر الأكاديمي. مع أنَّ هناك حالاتٍ قد تتعقَّد أكثر من ذلك، إلا أنَّ تصحيح الأخطاء الواضحة بويكيبيديا هو -عادة- عملية سهلة.

٣. دراساتٌ علميَّة عن دقَّة ويكيبيديا

مع أنَّ الكثير من الناس على الأرجح يُشكِّكون بمدى أهليَّة مقالات ويكيبيديا بسبب اعتماديَّتها على مساهمات الأشخاص العاديِّين، إلا أنَّها نجحت على أرض الواقع، ليس نظرياً فقط بل عملياً أيضاً، بإثبات قُدرتها على تقديم محتوى موثوقٍ جداً. فعدا عن الحجم العظيم الذي وصلته هذه الموسوعة، والطَّيف الهائل من الموضوعات التي تُغطِّيها، فإنَّ مستوى الأخطاء والتخريب فيها يقتصر -حسبما أثبتت الدراسات- على الحدِّ الأدنى.



نتائجُ استفتاء عن موثوقية ويكيبيديا مُقارنة بالموسوعة البريطانية، أجراهُ الموقع الإعلامي البريطاني YouGov.

في شهر ديسمبر سنة ٢٠٠٥، قرَّر فريق بحثي يعمل في مجلَّة نيتشر[٢٠] إجراء دراسة[٢١] عن مدى دقة معلومات النسخة الإنكليزية من ويكيبيديا، مقارنة بموسوعة عريقة جداً هي الموسوعة البريطانية، والتي يكتب مقالاتها باحثون ومحرِّرون خبراء مدفوعو الأجور، مقابل المتطوعين في ويكيبيديا.

(٢٠) مجلة Nature (الطبيعة) هي واحدة من أفضل وأعرق المجلات العلميَّة في العالم، إذ تنشر شهرياً دون توقُّفٍ منذ عام ١٨٦٩.

(٢١) هنا رابط الدراسة الأصلية على موقع نيتشر الرسمي، لكنَّك بحاجة لعضويَّة في المجلة لتتمكَّن من قراءتها كاملة.

أجرت الدراسة مراجعةً دقيقة لعشرات المقالات من الموسوعتين، حيث كان الباحثون يختارون أحد المواضيع ثم يقارنون مدخلته في ويكيبيديا الإنكليزية بمقابلتها في الموسوعة البريطانية.

ومع أنّ ويكيبيديا كانت لا تزال في مرحلةٍ مبكّرة نسبياً آنذاك، فهذا الأمر مضت عليه أكثر من عشر سنواتٍ الآن، إلا أنّ حصيلة الأخطاء[٢٢] التي وجدها الباحثون في كل مقالة من المقالات التي شملتها الدراسة كانت ثلاثة لمواضيع الموسوعة البريطانية، مقابل أربعةٍ فقط لويكيبيديا.

احتجّت الموسوعة البريطانية على هذه الدراسة زاعمة أنها غير دقيقة، وطالبت مجلّة نيتشر بإجراء إعادة بديلة لها مبنيّة على معايير مختلفة، لكن نيتشر رفضت ذلك الطلب، مصرّةً على صحّة دراستها الأصلية.

بعد سبع سنوات، تعاونت مؤسسة ويكيميديا مع فريق بحثي آخر (من جامعة أكسفورد هذه المرّة) لإجراء دراسة جديدة[٢٣] حول الموضوع ذاته، لكنّها توسّعت لتشمل ثلاث نسخٍ لغويّة مختلفة من ويكيبيديا، هي ويكيبيديا الإنكليزية التي قورنت بالموسوعة البريطانية من جديد، وويكيبيديا الإسبانية التي قورنت بموسوعة إنسيكلونيت، وأخيراً ويكيبيديا العربيّة، التي قورنت بالموسوعة العربية العالمية.

(٢٢) استعملت الدراسة مصطلح Inaccuracies، ولذلك فإنّ المقصود قد لا يكون أخطاءً علمية بالمعنى الحرفي، وإنّما مجرّد عبارات فيها افتقار للدقة.

(٢٣) الدراسة منشورةٌ بالكامل على الإنترنت تحت ترخيص كريتف كومنز الحر، بإمكانك قراءتها بصيغة PDF.

عدد المقالات التي شملتها المقارنة لم يكن كبيراً جداً (٢٢ مقالة من كل لغة)، لكن توصَّلت الدراسة إلى أنَّ مقالات ويكيبيديا الإنكليزية والإسبانية كانت بالواقع أفضل من حيث الدقة العلميَّة من الموسوعة البريطانية والإنسيكلونيت، وأما ويكيبيديا العربيَّة، فإنَّ دقتها مكافئة تماماً للموسوعة العربية العالمية.

Biggest. Encyclopedia. Ever.

Encyclopedia	Number of Articles
English Wikipedia	4,168,694
Encyclopedia Britannica (online)	120,000
Encyclopedia Britannica (print, 2002)	65,000

Size of English Wikipedia (August 2010) if it were printed and bound

عددُ مقالات ويكيبيديا الإنكليزيّة الآن (نوفمبر ٢٠١٦) تجاوز الخمسة ملايين مقالة،وبالتالي فهو أكثرُ بما بين ثلاثين إلى أربعين ضعفاً ممَّا كان عددُ مقالات الموسوعة البريطانية في أيّ مرحلةٍ من تاريخها.

في سنة ٢٠١٥، نشر عددٌ من الباحثين الطبيِّين[٢٤] في جامعة الملك سعود ورقةً عن دقَّة مقالات الأمراض القلبيَّة على ويكيبيديا الإنكليزية. اعتمد الباحثون على مقياس متعارفٍ عليه لدقة المصادر العلميـة يُسـمَّى "DISCERN" . صُـنِّفت ٨.٥٪ مـن المقـالات علـى أنَّهـا ممتـازة (٤٠-٥٠ نُقطـة)،

(٢٤) تحدث عن هذه الدراسة المتطوعان السعوديان زياد الراجحي ومصعب الشريف في مُحاضرة لهما بمؤتمر ويكي عربية ٢٠١٦ في عمَّان، وأشكر لهما معرفتي بها.

و ٨٣٪ مقبولة (٣٠-٣٩ نقطة)، وأما الـ ٨.٥٪ الباقية فكانت سيِّئة (١٠-٢٩ نقطة). لا ترقى هذه النِّقاط إلى مُستوى المراجعة العلميَّة المعتبرة، ولذلك فهي لم تعتبر ويكيبيديا مصدراً جيِّداً في المجالات الطبيَّة، وحذَّرت من استخدامها فيها، ولكنها تُعطي تقييماً جيداً بالنسبة لمصدر معرفي عام.

للأمانة العلمية، جميع الموسوعات المتضمَّنة في دراستي مجلَّة نيشتر وجامعة أكسفورد لا ترقى لمستوى المراجع الأكاديمية، ولا يُمكن الاستشهاد بها في بحث علمي حقيقي. ومع أنَّ دراسة جامعة الملك سعود قد أظهرت أنَّ ويكيبيديا لا زالت غير مُؤهَّلة (على ما يُحتمل) لتكون مصدراً مُعتمداً في مجالٍ حسَّاسٍ مثل الطب، لكن من بين مصادر المعرفة المبسَّطة المتاحة لعامة الناس، من الواضح من هذه النتائج أن ويكيبيديا أصبحت من الأكثر موثوقية ودقة. فعلى ما يبدو، بإمكانك بالفعل الوُّثوق بموسوعة يكتبُها أي شخص.

٤. من أين تأتي مصادر ويكيبيديا؟

ويكيبيديا لا تأخذ معلوماتها من أحد، بل هي تعتمد حصراً على المصادر الموثوقة كوسيلة لبناء محتوى المقالات، وأيُّ مقالةٍ غير موثَّقة بالمصادر تعتبر ناقصة حتى تزويدها باللازم. لكن، ما هي المصادر التي يُمكن الاعتماد عليها في ويكيبيديا؟ لو كانت الجرائد اليومية أو المنتديات الإلكترونية تعتبر مصادر مقبولة، فمن السَّهل ملئ الموسوعة بالهراء المبني على ما فيها.

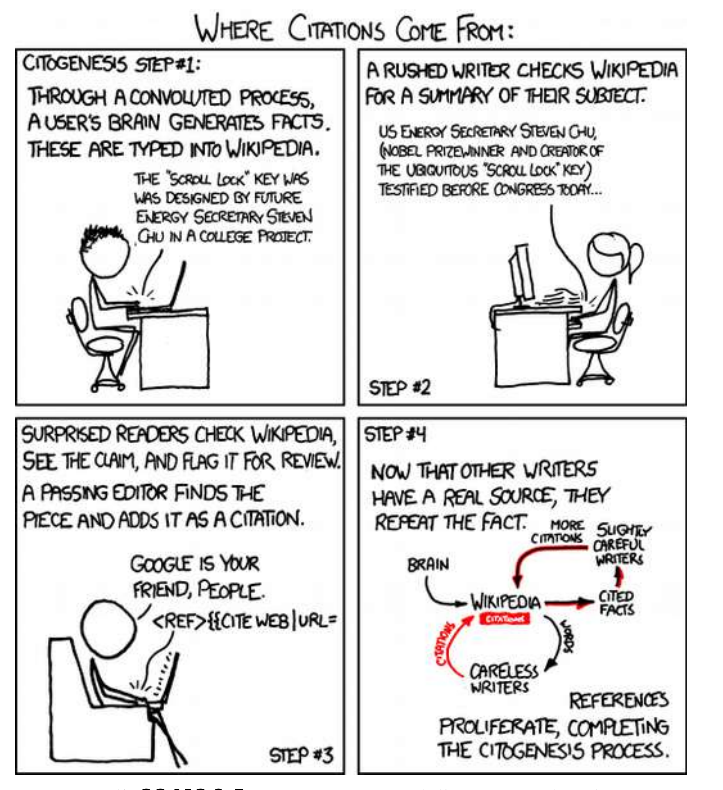
الحُكم على أهلية مصدرٍ ما ليكون مرجعاً في ويكيبيديا ليس أمراً سهلاً، ومن المُمكن جداً أن تتضارب آراء الويكيبيديين حولَه. في الحالات المثالية، نحنُ نأمل أن تعتمد مقالات الموسوعة على كتبٍ منشورة من دور نشر ذات شأن أو مؤلفين ذوي سُمعة، لكن ذلك نادراً ما يكون متاحاً. الكثير من مقالات ويكيبيديا تعتمد على مواقع إلكترونية، أو صحف ومجلات، وفي عدد جيِّد من الحالات تكون هذه المصادر هي الخيارات الوحيدة المتوافرة.

فمثلاً، من المُستحيل توفير كتب أكاديمية عن مباريات كرة القدم الحديثة، أو عن آخر الأزمات السياسية في المنطقة، أو عن اكتشاف جديد في العلوم. عدا عن ذلك، فإنّ مُجرّد توفر هذه المصادر في مكانٍ ما لا يعني بالضرورة أن الويكيبيديّ الذي يُريد كتابة المقالة قادرٌ على الوصول إليها.

لهذه الأسباب ثمّة معايير أساسية للموثوقية، تُحدِّد بطريقةٍ عامة شروط المصادر التي يُمكن قبولها على الموسوعة، ويُمكن اعتبار أي شيء لا يَخرق شرطاً من الشروط بطريقة صريحة مصدراً مقبولاً. إلا عندما تكون المقالة خلافية على نحوٍ خاص، فإحدى قواعد المصادر في ويكيبيديا تنصُّ على أنّ الادعاءات الاستثنائية تتطلّب مصادر استثنائية، وإذا كانت المقالة تحتوي حقيقة غريبة أو خلافية أو تخالف رأي مُعظم الأكاديميين حول الموضوع، فلا بُدَّ من إثباتها بمصادر قويّة جداً.

ا. ما الذي يجعل المصدر غير موثوق؟

مُعظم المصادر غير الموثوقة يُمكن أن تستثنى وفقاً لقاعدة الجهل، فأي مصدرٍ مؤلّفه شخص مجهول أو يُمكن لأشخاص مجهولي الهوية الكتابة فيه ليس مؤهلاً لاستعماله في الموسوعة تحت أي ظرف. هذا يعني أن المنتديات، والمدونات، ومواقع التواصل الاجتماعي، والكثير من المواقع الإجبارية الرّخيصة، ليست مقبولة في أي مكانٍ بويكيبيديا. من المثير أن تعرف، بهذا الصّدد، أن مواقع الويكي (مثل ويكيبيديا) ليست مصادر موثوقة للاستشهاد بها في موسوعتنا، لأنَّه يُمكن لأشخاص غير معروفين كتابة مقالاتها.



كيف تصنع ويكيبيديا مصادر جديدة! (الكاريكتير تحت رخصة CC-NC 2.5، المصدر: xkcd.com).

النشر مبدأ مهمٌّ في موثوقية المصادر، وينصُّ هذا المبدأ على أن أي مصدرٍ لكي يكون مُـؤهلاً للاستشهاد بـه علـى ويكيبيـديا يجـب أن يكـون منشـوراً لعامـة النـاس، بحيـث أنَّ مـن يقـرأ المقالـة ويَرغب في التوثُّق من المصدر سيكون قادراً على ذلك.

قد يكون الوُصول إلى بعض الكتب والدوريات صعباً لأنها ليست منشورة إلا في دولٍ مُعيَّنة، لكنهـا تظـلُّ (تقنيـاً) مصـادر منشـورة، ولـذلك فـإنَّه مـا مـن مُشـكلة بالاستشـهاد بهـا فـي مقـالات ويكيبيـديا. المخطوطـات والوثـائق غيـر المنشـورة للعُمـوم، والكتـب التـي لم تُطبع أو تُـوزَّع لعامـة الناس، هي أمثلة عن المصادر التي تخالف قاعدة النشر.

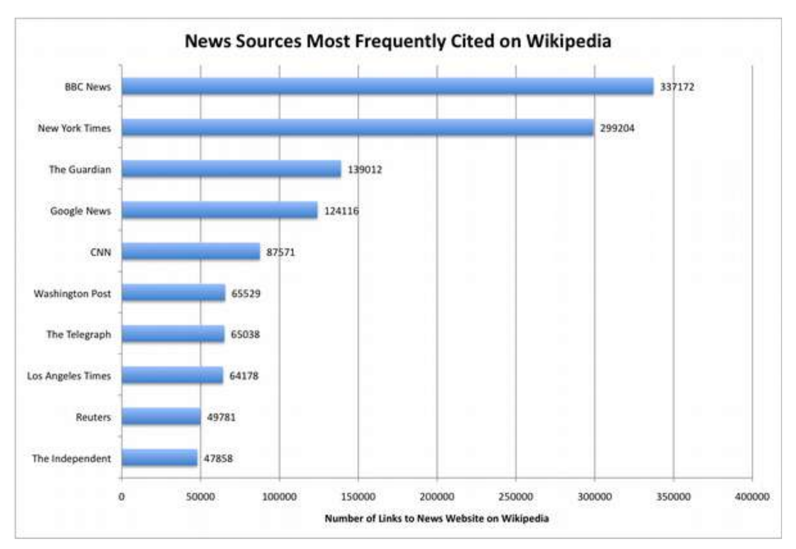
ثم وعملاً بركائز ويكيبيديا الخمس، فالحياد أمرٌ جوهريٌّ في المصادر، لأن المصدر المتحيز لا يمكنه المساعدة على بناء مقالة محايدة. أي مصدر تابع لجماعة فكرية أو سياسية معينة، أو معروفٍ على نطاق واسع بتبنِّيه لآراء متطرِّفة في قضايا مُعيَّنة، لا يجب أن يستعمل في أي مقالة على الموسوعة.

بصورة عامة، عند التعامل مع مقالة خلافية أو تمسُّ موضوعاً حساساً، فثمَّة تدقيق كبيرٌ على المصادر، وغالباً ما يكون الباب مفتوحاً للتشكيك بأي مصدر ليس منشوراً أكاديمياً من جهة مُحايدة وموثوقة تماماً.

أخيراً، تتحدَّد نوعية المصادر المُتاحة بنوعيَّتها الأكاديمية، فويكيبيديا لا يُمكنها الاعتماد إلا على المصادر الثانوية للحصول على معلوماتها، وذلك بطبيعة الحال لأنها موسوعة. لكن، ما هي المصادر الثانوية تحديداً وبماذا تختلفُ عن غيرها؟

أكاديمياً، تنقسم مصادر المعلومات إلى درجاتٍ حسب المرحلة التي تنتمي إليها في عملية الإنتاج الأكاديمي. فأي بحث يدرس ظاهرة للمرَّة الأولى، أو يضع نظرية جديدة، أو يقترح فكرة علمية لم يسبق وأن طرحها أحد، يعتبر مصدراً أولياً أو بحثاً أصلياً. مهما كان الباحثون الذين شاركوا في الدراسة معروفين ومرموقين، فإنَّ كونهم أول من يدرس ظاهرة من الظواهر يجعل عملهم بحثاً أصلياً.

يُمكن لكثيرٍ من منابع المعلومات أن تعتبر مصادر أولية، فالقرآن والأحاديث ومُعظم الكتب التراثية (مثل البداية والنهاية والأغاني وما شابهُهما) تُصنَّف ضمن هذه الفئة. لكي يكون الكتاب مصدراً ثانوياً، يجب أن يكون مؤلفه قد قام بجمع المعلومات في كتابه من مصادر مختلفة، ثم درسها وحلَّلها واستبعد ما بدا غير موثوقٍ منها، وبنى عليها استنتاجاتٍ وآراءً جديدة. بطبيعة الحال، لا ينجح الكثير من المؤلِّفين العرب باتباع هذا الأسلوب بالطريقة الأكاديمية الصَّحيحة، لكن بسبب نُدرة الكتب العربيَّة فيُمكن اعتبار أي مؤلَّفٍ منشورٍ حديثاً موافقاً لشروط المصادر الثانوية.



هذه هي أكثر المصادر المستعملة في مقالات الأحداث الجارية (أي مقالات الأخبار، مثل التفجيرات والحروب الواقعة الآن) في ويكيبيديا الإنكليزية، بحسب معلومات سنة ٢٠١٣.

مشكلة المصادر الأولية هي أنها لم تناقش بعدُ في المجتمع العلمي، ولم تحظى بفُرصةٍ ليدرسها الباحثون ويُقيّموا صلاحيتها. فمن الحالات التي قابلتُها أكثر من مرة على ويكيبيديا العربية أن أحد الأشخاص (بحُجَّة أنه أستاذ جامعي معروف أو باحث مشهور) يكتبُ مقالة عن "نظريته" الرائدة في علم السياسة أو الاقتصاد، والتي لا يعرفها أو يهتمُّ لأمرها أي أحد غيره. عندما ترفض ويكيبيديا السّماح باستعمال المصادر الأولية في مقالاتها، فهي بذلك تُوضِّح أنها ليست منبراً لنشر الأفكار الجديدة، بل هي لا تقبل سوى الحقائق المعروفة والمتَّفق عليها علمياً، وهذا جزء أساسيٌّ من كونها موسوعة.

بصورةٍ عامة، الفئات التالية من المصادر هي التي تعتبر موثوقة وصالحة للاستعمال على ويكيبيديا:

- المجلات العلميَّة والأكاديمية (مثل Nature أو Astrophsyical Journal).
- الكتب المنشورة جامعياً (أي كتابٍ تصدره هيئة بحثية جامعية).
- الكتب المعتمدة في مناهج الجامعات (أي كتاب معتمد في منهج جامعي).
- وسائل الإعلام ذات السُّمعة (مثل BBC).
- الكتب والمجلات والدوريات المنشورة من دورٍ معتبرة (مثل National Geographic أو Atronomy).

مواقع الويب التي تشرف عليها منظّمات معروفة (مثل جميع المواقع التابعة لأجهزة هيئة الأمم المتحدة، أو لوكالات حكومية وبحثية).



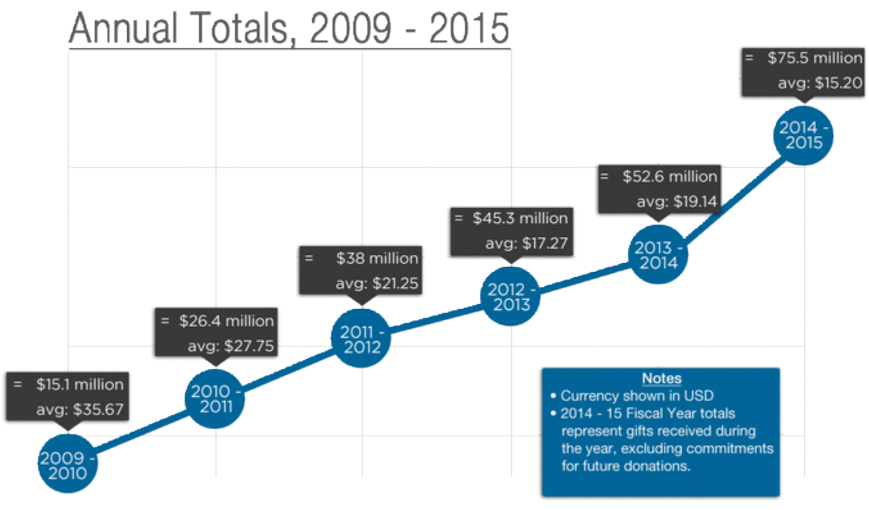
فـي ويكيبيـديا الإنكليزيـة، يُمكـن أن يجـري تـدقيق مُفصَّـل جـداً للمصـادر المُسـتعملة فـي المقالات كي توافي هذه الشروط، ومن المحتمل جداً أن يحذف مصدر مع المعلومات المأخوذة منه لو تبيّن أنه يخالفها، خصوصاً لو كان ينصُّ على معلومة خلافيَّة لا تذكرها المصادر الأخرى.

لكن بالنسبة لنا في ويكيبيديا العربية، فعدا عن أنَّ كادر المساهمين لدينا أقلُّ بكثير من أن يكفي للتدقيق على المقالات بهذا المستوى، فلا بدّ من أن تأخذ بعين الاعتبار أن المصادر المتاحة باللغة العربيَّة لا تسمح لنا بإجراء تدقيق من هذا النوع أساساً. التعامل بقاييس ويكيبيديا الإنكليزية لدينا سيكون جديراً، ببساطة، باستبعاد جميع المصادر العربيَّة الموجودة في عالمنا تقريباً. لذلك نحنُ نكتفي بمنع استعمال المنتديات والمواقع الاجتماعية وما شابهها من المصادر الرديئة، بينما نتسامح مع مُعظم ما خلا ذلك.

أين تذهب أموال تبرّعات ويكيبيديا؟

لا أدري لو كنتَ تبرَّعت من قبل ببضع دولارات أثناء حملات جمع المال السنويّة لويكيبيديا، لكني سأُحسن الظن بك وأفترض أنك فعلت. وسأفترض أيضاً وأنك رُبّما تساءلت، وأنت تفعلُ ذلك أو تفكر بفعله، إلى أين ستذهب أموالك تلك بالتّحديد؟

ويُسعدني أن أقول لك، في هذا السياق، أن مؤسّسة ويكيميديا (وهي الجهة المُشرفة على ويكيبيديا والتي تتلقى التبرعات وتُقرّر كيفية إنفاذها)، تتبّع سياسة من الشفافية التامة في ما يتعلّقُ بمدخراتها المالية. ولذا يُمكنك أن تعرف إلى أين ذهب بالتحديد كل دولارٍ من الدولارات التي أعطاها المُتبرعون لويكيبيديا مُنذ انطلاقها، ويُمكنك الاطلاع على جميع تقاريرها الماليّة، أو قراءة هذا الفصل لتعرف كلّ شيء.



ارتفاعُ تكاليف ويكيبيديا على مرّ السنين.

في خلال عام ٢٠١٦ تلقَّت مؤسسة ويكيميديا مجموعاً من التبرّعات مقداره ٨١,٨٦٢,٧٢٤ دولاراً أمريكياً، وسأُحدّد لك في هذا الفصل لماذا احتاجت ويكيميديا لهذه الأموال كُلّها، وماذا فعلت بها (وكانت تفعلُ بها) خلال الاثنتي عشر سنةً الأخيرة.

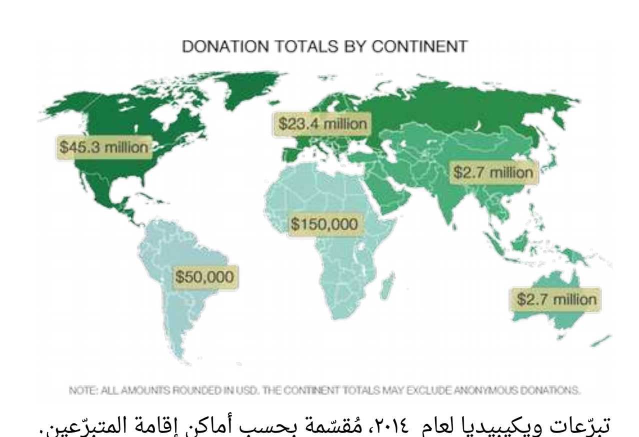
١. تاريخُ ويكيبيديا الماليّ

عندما انطلقت ويكيبيديا كانت مُجرّد موقع صغير مُتواضع، لا يزيدُ حجم محتواه عن بضعة مئاتٍ من المقالات، والتي لا تشغلُ سوى غيغابايتاتٍ معدودةٍ يستطيع أي خادم بسيط استضافتها. تولّى جيمي ويلز شخصياً تمويلَ المشروع في تلك المرحلة، لكن سُرعان ما تنامى حجم الموقع بحيثُ أصبح من العسير تمويلُه بطريقة خاصّة.

أسَّس جيمي ويلز مؤسسة ويكيميديا في شهر يونيو عام ٢٠٠٣ لوضع هيكلٍ مُؤسَّسي قادر على الإشراف على الجوانب التقنية من الموقع. فقد كانت ويكيبيديا بحاجةٍ لخوادم تستضيفُها، ولاختصاصيّين تقنيين يُشرفون عليها ويضمَنون عدم وُقوع المشاكل أو تعطّل الخوادم، ومع مُرور الوقت، برزت الحاجةُ للكثير من الموظَّفين الذين يُمكنهم تحسين أداء ويكيبيديا: فكان من الضروري ضمانُ الصيانة التقنية المُستمرّة لها، وتطويرُ الموقع من حيث الأداء وتجربة المستخدم، والإشرافُ على المؤتمرات واللقاءات المختصّة بنشر رسالة الموسوعة.

حتى انطلاق مُؤسّسة ويكيميديا، وذلك بعد أكثر من ثلاث سنوات من ظُهور ويكيبيديا، كانت كلُّ بيانات الموقع مُخزَّنة على خادم واحد فقط. لكن بدءاً من سنة ٢٠٠٤ اتّخذت ويكيبيديا مراحل تطورّها التقنية الأولى، فبنهاية ذلك العام كان يُوجد ٣٩ خادماً مُخصَّصاً لها في فلوريدا، بالولايات المتحدة. ومع إطلاق المؤسسة وتوسيع الخوادم برزت الحاجة الأولى للتمويل في تاريخ ويكيبيديا.

أنفقت مُؤسّسة ويكيميديا ما مجموعه ثلاثة وعشرون ألفَ دولارٍ أمريكي في سنتها الماليّة الأولى، خُصّصت منها ١٠,٦٤١ دولاراً لشراء مُعدّات تقنية، من أجهزة إلكترونية وحواسيب وبرمجيات لدعم عملها، و ٨,٩٥٨ دولاراً هي قيمةُ مُعدّاتٍ تلقتها كتبرّع خيري (وهي تُضاف مع النفقات لأسبابٍ إداريّة)، و ٣,٠٥٧ دولاراً رسومٌ واقتطاعاتٌ من حسابات الباي بال، و ٤٩٥ دولاراً أجرة لعاملين، و ٢٩٣ دولاراً لتكاليف سفر الموظّفين.

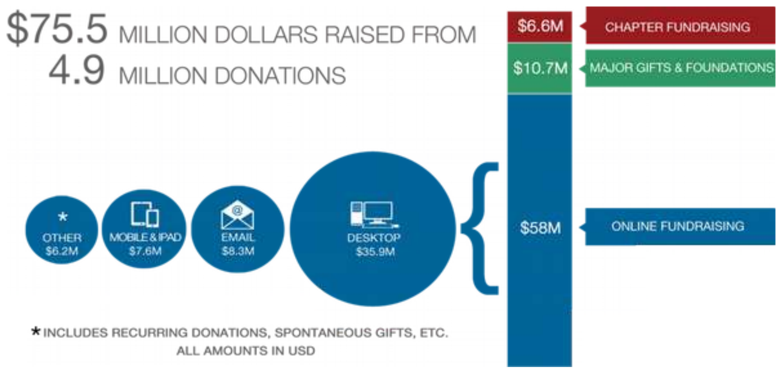


تبرّعات ويكيبيديا لعام ٢٠١٤، مُقسّمة بحسب أماكن إقامة المتبرّعين.

لكن تلك التكاليف كانت بسيطةً جداً بالنسبة لما تحتاجُ المؤسسة لإنفاقه الآن. فمُنذ عام ٢٠٠٤ وحتى الآن، ارتفع إنفاقُ ويكيبيديا السنويّ من ٢٣,٤٦٣ دولارٍ أمريكي إلى حوالي ستة وستّين مليوناً، أي قرابة ثلاثين ألف ضعف، وأصبحت المُؤسّسة بحاجة لإطلاق حملات جمع تبرّعات عملاقة لتغطية هذه التكاليف.

ورُغم التضخم الهائل لنفقات هذه المؤسسة فهي لا زالت مؤسسة خيريّة، وتعتمدُ بشكل كامل على التبرعات والمنح لتمويلِ أعمالها. تحصلُ مؤسسة ويكيميديا سنوياً على منحٍ بملايين الدولارات من العديد من المؤسّسات الخيرية أو الشركات دعماً لنشاطاتها. فمثلاً، في عام ٢٠١٠ تلقّت تبرّعاً مقداره مليونا دولارٍ من شركة غوغل، كما وقد حصلت في عام ٢٠١٢ على أكبر تبرّع في تاريخها، وهو خمسة ملايين دولارٍ غير مشروطةٍ من مُتبرِّع لم يشأ الإفصاح عن هويته.

ولتعويض ما يتبقّى من نقص، تُطلق مؤسسة ويكيميديا حملةً لجمع التبرعات من عُموم الناس في شهر ديسمبر من كلّ عام، ونجحت حملة التبرّعات لعام ٢٠١٤، وهي الأكثرُ نجاحاً حتى الآن، في حصاد حوالي ٥٨ مليون دولار، تبرّع بها أكثر من أربعة ملايين إنسانٍ مُعظمهم مُقيمون في أوروبا والولايات المتحدة. وبالإضافة إليها، حصلت المؤسسة على منح وتبرعات من مؤسسات خيرية رفعت إيرادات ذلك العام إلى ٧٥.٥ ملايين دولار.



مصادرُ تبرعات المؤسسة لعام ٢٠١٤.

٢. كيف تُنفق كل هذه الأموال؟

الاعتقادُ الذي يتبادرُ لمعظم الناس، حسبما رأيتُ شخصياً، هو أنَّ ويكيبيديا تحتاجُ لطلب مبالغ هائلة من التبرّعات كل عامٍ لتسديد تكاليف الخوادم التي تستضيفُ مواقعها وتُخزّن بياناتها. لكن بما أنّنا بصدد الحديث بشفافيّة عن الأموال، فيُؤسفني القول أنَّ ذلك غيرُ صحيح أبداً. خوادم ويكيبيديا تُكلّف الكثير من المال، لكنه لا يقتربُ بحالٍ من ميزانيّتها السنوية.

ميزانيـة مُؤسّسـة ويكيمـيـديا ترتفعُ في كلّ عـام، وبنسـبةٍ كـبيرة. لا تصرفُ ويكيمـيـديا كلّ الأموال التي تحصلُ عليها كلّ عام، فالبعضُ منها يبقى، ويتمُّ الاحتفاظُ به لتمويل نشاطات المُؤسسة في السنوات القادمة، فهو لا يذهبُ لأيّ غرضٍ آخر.

تحسبُ ويكيميديا ميزانية السنويّة في نهاية شهر يونيو من كلّ عام، وفي آخر سنة، وهي ٢٠١٦، حصلت ويكيميديا على إيراداتٍ ماليّة قيمتُها ٨١ مليون دولار، صرفت ثلاثة أرباعها تقريباً، واحتفظت بالرّبع الأخير.

لحُسن الحظ أن مُؤسّسة ويكيميديا تتبَّعُ سياسة الشفافية المالية الكاملة بمصاريفها، ولذا يُمكن للجدول أدناهُ أن يُوضِّح أي ذهبَ كلُّ قرشٍ صرفته المُؤسّسة في العام الماضي (٢٠١٦).

مصدرُ الإنفاق	التّكلفة
رواتب الموظّفين	٣١,٧١٣,٩٦١
المنح والجوائز	١١,٣٥٤,٦١٢
الخدمات الاحترافية (من جهاتٍ خارجية)	٦,٠٣٣,١٧٢
مصاريفُ عمل أخرى	٤,٧٧٧,٢٠٣
الإشرافُ على التبرّعات	٣,٦٠٤,٦٨٢
صرفُ العملة/خسارة قيمتها	٢,٧٢٠,٨٣٥
السّفر والمؤتمرات	٢,٢٩٦,٥٩٢
الخوادم والاستضافة	٢,٠٦٩,٥٧٢
الهدايا العينيَّة (التي تلقَّتها المُؤسّسة)	١,٠٦٥,٥٢٣
مُناسباتٌ خاصّة	٣١١,٣١٣
المبلغُ الإجماليّ	٦٥,٩٤٧,٤٦٥

٣. هل هُناك حاجة لكلّ هذا المال؟

كما ترى، فإنّ ثمة فاقداً هائلاً في كلّ عام بسبب مصاريف إجرائية لا طائلَ منها: فإدارةُ حملة التبرعات وتكاليف تحويلُ العملة لوحدها اقتطعت أكثر من ستّة ملايين دولار، أي حوالي ١٠٪ من الميزانية. الخدمات الاحترافية الخارجية أيضاً (ومن أمثلتها الاستشارات القانونيّة وما إلى ذلك) تُكلّف عشرةً أخرى في المائة كلَّ عام، كما لا يُمكن الاستهانة بتكاليف الاستضافة والخوادم والمعدّات. لكن، من الواضح أنَّ الغالبية العُظمى من الميزانية السنوية تُصرف على رواتب الموظفين وحدها، فما هو الهدف؟

في الحقيقة، أعتقدُ أن إجابة هذا السؤال ليست مُهمّة بقدر ما يرى البعض. قد تبدُو المبالغ التي تصرُفها ويكيميديا على مُوظّفيها مخيفة بالنسبة للكثير من الناس، فهُم يصدمون من أنَّ مُؤسّسة خيرية تحتاجُ لإنفاق مبالغ مثل هذه على مُوظّفيها، لكن هل هذه الطريقة بالتفكير سليمة؟

صحيحٌ أن مُؤسّسة ويكيميديا خيريّة، وصحيحٌ أنَّها غير ربحية وتعيشُ على تبرعات المُحسنين، لكنَّ ذلك لا يعني أنَّها تستطيعُ العيش على خدماتهم. بكلماتٍ أخرى، فكّر بالأمر هكذا: ويكيميديا مُؤسّسة عملاقة، وتحتاجُ إلى خدماتٍ كثيرة جداً. على أحدٍ ما أن يقومَ بهذه الخدمات. هل تُريد القيام بها؟ لا؟ حسناً، لا أحدَ غيرك يُريد ذلك أيضاً.

فرُبّما يتبرع شخصٌ بساعة في اليوم من وقته لويكيبيديا، لكن لا أحد سيتفرّغ أربعاً وعشرين ساعة لمشروعٍ خيري. أنتَ لا تستطيعُ التبرّع بكل وقتك لشيءٍ خيريّ؟ إذاً تبرَّع بمالك لمن سيقومُ بهذا العمل الخيري عوضاً عنك. وبطبيعة الحال، هذا الشخص سيحتاجُ لمالٍ ليُؤمّن لقمة عيشه، وإلا فإنَّ لا سبب يدعُوه للتفرّغ.



اجتماع عملٍ لموظّفي المُنتجات في مؤسسة ويكيميديا، شهر يوليو ٢٠١٣.

إذاً، الأمرُ ببساطة هو أنَّ مؤسسة ويكيميديا قائمةٌ على التبرّعات، بعضُ هذه التبرعات يكون بالجُهد والعمل، وبعضها بالمال. الوظيفةُ الوحيدة للمال هي تأمينُ الخدمات التي لا يُمكن لأحدٍ التفرغ بما يَكفي ليقومَ بها تطوّعاً. في كلتا الحالتين، على الناس التبرّع بشيءٍ ما لويكيبيديا، ولا يُفترض أن يختلف كثيراً فيما إذا كان عملاً أم مالاً، ففي كلتا الحالتين أنت تُقدّم شيئاً قيّماً بالنسبةً لك في سبيل خدمة المجتمع والإنسانية.

عموماً، عليّ أن أعودُ للسؤال الذي لم أُجب عليه بشكلٍ مباشر، وهو لماذا تحتاجُ ويكيبيديا إلى كلّ رواتب المُوظّفين هذه؟ لدى المُؤسّسة حالياً ما يقتربُ من ٣٠٠ مُوظّف، ما بين مُوظَّفين دائمين وآخرين مؤقتين يقومُون بخدماتٍ مُحدّدة. وهذا العددُ يبدو كبيراً بعض الشيء، ولو مررتَ عليهم واحداً واحداً، قد تُفكّر بأن الكثير منهُم يبدون "غير ضروريّين" كثيراً، لكن -مرة أخرى- رُبّما لا تكون هذه الطريقة الصحيحة للتفكير في الأمر.

٤. ميزانيّة ويكيميديا مُقارنة بالمؤسّسات الأخرى

في وقتنا الرَّاهن، ويكيبيديا هي سادسُ أكثر المواقع زيارةً على الإنترنت، وهي تشغلُ هذه المرتبة المذهلة مُنذ ما لا يقلّ خمس سنوات مُتتابعة. تتلقّى مواقع ويكيبيديا والمشاريع التابعة لها كلَّ شهرٍ حوالي ١٦ مليار زيارة، وهو عددُ مذهل جداً، فذلك يُعادل زيارتين تقريباً من كلّ إنسانٍ على كوكب الأرض. لكن، مُقارنة بالمواقع الأخرى التي تشغلُ ترتيباتٍ قريبة لويكيبيديا، تبدُو تكاليف إدارتها مُعتدلة جداً.



مجلسُ أمناء ويكيميديا، يتألّف من سبعة أشخاصٍ ينتخبهم المُجتمع مرة كل عامين،
الصورة من فقرة أسئلة وأجوبة في مُؤتمر ويكيمانيا لعام ٢٠١٤ بمدينة لندن.

على سبيل المثال، الميزانيّة السنوية لشركة ياهو (Yahoo)، التي تستضيفُ الموقع الخامس الأكثر زيارةً في العالم (فوق ويكيبيديا بمرتبةٍ واحدة)، لها عشرةُ آلاف موظّف، وأما ميزانيّتها السنوية لعام ٢٠١٥ فقد تجاوزت ملياري دولار أمريكي، أي ما يُعادل أكثر من ثلاثين ضعف إنفاق مُؤسسة ويكيميديا. وأما موقع تويتر، وهو أدنى من ويكيبيديا بثماني مراتب بحسب مُعدّل الزيارات الشهري، فهو يُنفق أكثر من ١.٥ مليار دولارٍ في كلّ عام، وهو ما يُوازي أكثر من عشرين ضعف ميزانية ويكيميديا أيضاً.

وفيما يلي جدولٌ يُوضّح التكاليف السنوية لبعضِ المواقع الأكثر زيارةً على الإنترنت (بحسب ترتيبات أليكسا لشهر نوفمبر ٢٠١٦)، مُقارنةً بويكيبيديا ومشاريعها.

الموقع (مع ترتيب أليكسا)	الإنفاق السنويّ	الإيراد السنويّ	سنةُ الإحصاء
(١) غوغل	٥٨.٢ مليار	٧٤.٥ مليار	٢٠١٥
(٣) فيس بوك	١٤.٣ مليار	١٧.٩ مليار	٢٠١٥
(٥) ياهو	٢.١٦ مليار	٤.٩٨ مليار	٢٠١٥
(٦) ويكيبيديا	٦٥ مليون	٨١ مليون	٢٠١٦
(١٠) أمازون	١٠٦.٥ مليار	١٠٧ مليار	٢٠١٥
(١٤) تويتر	١.٧ مليار	٢.٢ مليار	٢٠١٥

قضايا جدلية

ا. هل ويكيبيديا متحيِّزة؟

لهذه المسألة شيءٌ من الحساسية، وقد لا يكون تقبلها سهلاً كثيراً، إلا أنَّ كونها واحدةً من أكثر المسائل التي يطرقها الناس عن ويكيبيديا تجعلني مضطراً لتخصيص بابٍ عنها في هذا الكتاب، وتناولها بشيءٍ من التفصيل.

ا. حقيقة التحيّز في ويكيبيديا

الكثير من الناس الذين قابلتهم يعتقدون أن ويكيبيديا هي نوع من المؤامرات الموجَّهة، أو أنها موسوعة مخترقة من أجهزة استخباراتيَّة أجنبية، أو أنها مكرسة لخدمة منظمات سياسية. إضافةً إلى الكثير من الكلام الفارغ الآخر الذي ستجد -للأسف- أشخاصاً يفترض أن يكونوا مخضرمين ومعروفين يخصِّصون مقالاتٍ طويلةٍ للثرثرة عنه، وأعتقد أنك تستطيع العثور بسهولة على بضع نماذج كهذه من بحث في غوغل.

ب. الحيادية تعني التخلي عن منظورك الشخصي للأمور!

حسناً، لنكن واضحين في البداية: هل مقالات ويكيبيديا متحيِّزة؟ الجواب في الواقع هو نعم، مقالات ويكيبيديا متحيِّزة. بدرجاتٍ متفاوتة، ولأطرافٍ مختلفة. السبب ليس أن ويكيبيديا مخترقة أجنبياً، إنَّما السبب هو أنَّ البشر (الذي يكتبون ويكيبيديا بطبيعة الحال) كائنات متحيِّزة بطبيعتها في أيِّ مسألة، سواء كانت سياسية أم فكرية أم غير ذلك، وبطبيعة الحال سيحاول المساهمون في الموسوعة دائماً إبراز الآراء التي يؤيِّدونها في مقالاتهم. هنا تولد مشكلة التحيز، لكن ذلك لا يعني أنَّنا غير قادرين على علاج هذه المشكلة.

فقد كان السؤال الأول عن مقالات ويكيبيديا. لكن، ماذا عن ويكيبيديا، هل هي فعلاً متحيِّزة؟ الأمر يعتمد على ما تعنيه بـ"ويكيبيديا"، إن كنا سنتحدث عن قوانين وأسس الموسوعة، فهي بدون شكٍّ غير متحيِّزة، بل وتدعم بقوَّة كل من يريد الوصول إلى الحيادية في مقالةٍ ما، بحيث تبقى لخصمه حججٌ محدودة جداً.

رغم ذلك، فإن مشكلة التحيز -التي تنتج عنها معظم الانتقادات الموجَّهة إلى الموسوعة- تولد عندما لا يوجد أصلاً من يريد الوصول إلى الحيادية، في هذه الحالة. القوانين لن تفعل شيئاً، لأنه لا يوجد من يطبِّقها، وطالما لا يوجد من يطبق القانون فإن المتحيزين يصبحون قادرين على التمادي دون رقيب.

ج. لماذا تتحيَّز ويكيبيديا؟

بطبيعة الحال، تصبح عندنا هنا مشكلة، ففي كل نسخة لغويَّة من ويكيبيديا أو أيّ موضوع خلافي يُمكن أن يوجد دائماً محرِّرون كثرٌ يؤيِّدون جانباً ما، بينما لا يوجد أي أشخاصٍ مهتمين بتمثيل الطرف الآخر، ستصبح المقالة -تلقائيا- مقالة متحيزة.

هذا الأمر سيحدث في أيّ مكان. مثلاً، في ويكيبيديا الكورية ستجد المقالات المتعلِّقة بالحرب الكورية متحيزة، لأن معظم مساهمي تلك الموسوعة هم من كوريا الجنوبية، فعدد الأشخاص الذين لديهم اتصال إنترنت بكوريا الشمالية قليل جداً. بينما في ويكيبيديا الألمانية مثلاً لن يوجد أيٌّ كوريين على الإطلاق، لذلك ستكون المقالة محايدة وممثلة لوجهات النظر بشكل جيّد.

في النهاية، تعاني إصدارات ويكيبيديا كلها بجميع لغات العالم من مشكلة تحيُّز المساهمين، لكن في مواضيع ومجالات مختلفة وبدرجاتٍ متفاوتة، حسب قوة تمثيل كل طرفٍ من الأطراف الفكرية في مجتمع ويكيبيديا بتلك اللغة.



جيمي ويلز يتحدث عن الحيادية في ويكيبيديا بمؤتمر ويكي الهند، سنة ٢٠١١.

إحدى الأمثلة المرتبطة بمنطقتنا جيداً هي إسرائيل، فويكيبيديا الإنكليزية تضم تمثيلاً جيداً للمحررين الإسرائيليين، لأن مجتمع ويكيبيديا في إسرائيل نشيط جداً، وبالواقع أنَّ عددهم يزيد عن عدد الويكيبيديين العرب مُجتمعين. علاوة على ذلك وبالنظر إلى ثقافة البلد، فإنَّ مُعظم الإسرائيليين يتقنون اللغة الإنكليزية جداً وقادرون على التحدث بها بطلاقة، بينما العرب (حتى عندما يحاولون الكتابة بالإنكليزية) يخرجون بنصوص ركيكة عصيَّة على القراءة. عدا عن ذلك، مُعظم الويكيبيديين العرب يحصرون أنفسهم ضمن مقالات النسخة العربيَّة فحسب، بينما توجد نسبة ضخمة من الإسرائيليين الذين يفضلون الكتابة في النسخة الإنكليزية على العبريَّة الأم.

لهذه الأسباب كلها، يُمكن القول أن نسبة العرب إلى الإسرائيليين في ويكيبيديا الإنكليزية لا تتعدى الواحد إلى العشرة أو أقل من ذلك، ومن هُنا تأتي المشكلة. إذ يوجد في ويكيبيديا الإنكليزية عدد كبيرٌ جداً من الويكيبديين الإسرائيليين القادرين على متابعة آلاف المقالات وتعديلها باستمرار، بينما يوجد عددٌ قليل جداً من العرب ذوي المهارات اللغوية السيِّئة والاطلاع الأكاديمي محدود، ولذلك فإنَّهم ليسوا أهلاً للمنافسة على أي مستوى.

من هُنا ستجد معظم المقالات المتعلقة بفلسطين، ولا أمانع قول هذا بصدق رغم كل حبي لويكيبيديا وإيماني بفكرتها، متحيِّزة إلى حد شنيع لوجهة النظر الإسرائيلية، بكل موضوع وكل مقالة وكل فقرة. لا يقتصر هذا التحيُّز على مقالات إسرائيل وفلسطين، بل أعتقد أنَّه ينطبق على جميع الحالات الخلافية القائمة بين ثقافتين، إحداهما لها تمثيل عالٍ بين الويكيبيدين الإنكليز أما الأخرى فلا.

لكن إن أردت رأيي الشخصي فهذا الأمر هو مشكلة العرب الشخصية وضريبة إهمالهم وقلة اطلاعهم، لكنَّه الأمر الواقع. فمن يتحدثون عن تحيز ويكيبيديا الإنكليزية في قضايا عديدة، خاصَّة من تلك التي تمسُّ العرب عموماً، هم محقُّون تماماً في اعتراضهم. في الآن ذاته، على هؤلاء أن يتذكروا أولاً أن ويكيبيديا العربية نفسها منحازة بطريقتها الخاصة إلى الطرف المعاكس، وثانياً، أن عدم مبادرتهم لتصحيح الخطأ ولإعطاء تمثيلٍ للجمهور العربيّ على صفحات ويكيبيديا هو سببٌ مباشرٌ في استمرار هذا التحيُّز، ولو لم يأتي عربيٌّ ما ويقرِّر أن يبادر فإن المشكلة لن تحلَّ أبداً.

في نهاية المطاف مسألة الحيادية معقدة ومتشابكة، والوصول إليها بالمطلق يكاد يكون مستحيلاً. لكن بالكليَّة، أعتقد أن ويكيبيديا الإنكليزية قادرةٌ على تقديم مادَّة موثوقة جداً عن الغالبية العُظمى من مجالات المعرفة في العالم. من جهة أخرى، لدى ويكيبيديا العربية مشكلات شديدة بالتزام الحيادية في المواضيع التاريخية على وجه الخصوص، لكنها آخذة بالتناقص مع مرور الوقت.

د. ماذا عن من يُحاولون تصحيح التحيز؟

المشكلة أنه في الحالات القليلة التي يقرِّر فيها أشخاص جدد التدخل لإصلاح خطأٍ ما، فهُم غالباً ما يفعلون ذلك بالطريقة الخاطئة. فويكيبيديا هي موسوعة، لها سياسات وقوانين تحكمها وتسيِّرها، لذلك عندما يأتي مستخدمٌ جديدٌ يريد معالجة تحيز، وهو لم يقرأ بعد حرفاً واحداً عن قوانين ويكيبيديا، ثم يأتي ليفرغ مقالة كاملة من محتواها، أو يقوم بتعديلات عشوائية لا يمكن لويكيبيديٍّ متمرِّسٍ إلا أن يعتبرها تخريباً حسن أو سيّء النية، عندها من الطبيعي جداً أن تُلغَى تعديلات هذا المستخدم على الفور، بل وأن يمنع من تحرير الموسوعة تماماً عند اللزوم.

المشكلة الأكبر أنه عندما يحصل ذلك، سترى هذا الشخص يترك ويكيبيديا حانقاً غاضباً وهو يلقي اللوم على المؤامرات الأجنبية والاختراقات الاستخباراتية، دون أن يفكر بما فعله هو أولاً لكي يعرف ويكيبيديا جيداً،[٢٥] وقد شاهدتُ مثل ردّ الفعل هذا في شخصيات عربية مشهورةٍ جداً بمقابلات تلفازية لها.

(٢٥) إن كنت مهتماً بالتعرُّف على هذا الموضوع أكثر، بإمكانك مراسلتي على بريدي، فسأكون سعيداً بالتحدث معك وتوضيح كل ما تريده. كنصيحةٍ مني سلفاً، لا تحاول إصلاح أيّ تحيز في مقالة دون قراءة مسبقة واعيةٍ لسياسات ويكيبيديا. بل وعليك أن تكتب على ويكيبيديا لفترة من الوقت أولاً حتى تكتسب الخبرة اللازمة، فبدون هذه الخبرة، لن تأتي تعديلاتك بأية نتيجة.

بصورةٍ عامة، يمكنني أن أقدر- لتواجدي الطويل في ويكيبيديا - أن معظم تعديلات الجدد على المقالات الحساسة تكون غير بنّاءة. بإمكان أيّ شخصٍ تعديل مقالة علمية أو تاريخية مثلاً وسيقوم بعملٍ جيّد، ربما تكون لديه أخطاء إملائية، وفي الغالب لن يعرف كيف ينسِّق ما كتبه بأسلوب الويكي المناسب، لكن إضافته بالإجمال ستكون جيِّدة.

لكن الأمر يختلف تماماً في المقالات الحساسة، التي تتحدث عن قضايا دينية أو سياسية شائكة. فهذه المقالات تتطلَّب غالباً الاستشهاد الدقيق بالمصادر (لكثرة تزوير المعلومات وضرورة التحقق من صحَّة كل ما يكتب)، والمعرفة الجيّدة بأسلوب الكتابة، وقبل كل شيءٍ قراءة متمعِّنةً جداً لسياسة الحيادية والموضوعية.

وجزءٌ كبيرٌ من المشكلة أن المجتمع العربيَّ بشكلٍ عام ليس على وفاقٍ مع مفهوم الموضوعية، ونادراً ما يسمع أساساً بمثل هذه المفاهيم في حياته العملية، لذلك فإنَّ استيعاب معنى "الحيادية" يكون ناقصاً عند معظم المستخدمين الجدد، وتوضيحه لهم ليس مسألة سهلة. يمكنني أن أقرّ بأني أنا نفسي، وإن كنت أعرف بالطبع المعنى اللغوي لمفهوم الحيادية سابقاً، فإني لم أستوعبه جيداً إلا بعد سنواتٍ من مكوثي في ويكيبيديا. والحقيقة أني مدينٌ لها بأنها جعلتني قادراً على تقبُّل جميع الآراء المختلفة حول القضايا التي تحدث ومحاكمتها بموضوعيَّة.

٥. ماذا يُمكنك أنت أن تفعل؟

بكلّ الأحوال، إن وَعِيَ شخصٌ ما جيداً مبادئ ويكيبيديا وأُسُس عملها، وقرأ جيداً قوانينها وسياساتها، وتلافى هذه الأخطاء، عندها لن يكون هناك أبداً من يمكنه منع هذا الشخص من إصلاح التحيُّز في مقالات ويكيبيديا بأي لغةٍ كانت. بالتأكيد، سيجد دوماً من يحاولون معارضته،

فويكيبيديا تضمُّ طيفاً واسعاً جداً من الناس، والكثير من هؤلاء لديهم أجندتهم وأهدافهم الخاصَّة من المساهمة (إن كنا سنتحدث عن المقالات السياسية والفكرية على وجه التحديد)، لذلك فإنَّهم قد لا يتقبلون إصلاح الخطأ، عندها ستضطرُّ للجوء إلى النقاش، لأن النقاش هو المحور الفصل الأول والأخير في أيّ قرارٍ يتخذ على ويكيبيديا.

لن أغوص في تفاصيل هذه القضية، لكن بقدر ما يمكن من الاختصار وإن أردت المساهمة في نقاشٍ عن مقالة بها تحيز: عليك أن تعي أن كل ما تقوله في النقاش عن موضوع المقالة يجب أن يرافقه دليل يثبته، وهذا الدليل هو مصدر. ليس أي مصدر، بل مصدر موثوق، وإن لم يكن مصدرك موثوقاً كفايةً وصادراً عن جهة أكاديمية معتبرةٍ فقد يطعن به أحدهم. وبالمثل، إن لم يقدم أحدهم مصدراً موثوقاً كفاية فيمكنك أنت أيضاً الطعن به.



تعلّم أن لا تكون مثل الطاوُوس. عليك أن تناقش الآخرين بتواضع!

تذكر أيضاً افتراض حسن النية، وهي إحدى سياسات ويكيبيديا الأساسية، لا توجِّه أي اتهاماتٍ تستهدف شَخْصَ من تناقشه، خصوصاً إن لم تكن لديك أدلة دامغة تثبت اتهاماتك. في هذه الحالة، قد تعتبر هذه الاتهامات إساءاتٍ شخصية يمكن أن تُمنَع بسببها. حاول دائماً أن تحافظ على هدوء أعصابك، وأبقي النقاش مركزاً على المقالة لا على الأشخاص أو على الآراء الشخصية.

أحياناً يمكن أن تضطرّ وحدك إلى مناقشة مجموعة كبيرة من الناس معاً، وفي مثل هذه الحالات ستواجه ضغطاً كبيراً. هذه من الأسباب الرئيسية التي تجعل مقالات ويكيبيديا متحيزة أحياناً، لأن الجماعة الكبيرة بطبيعة الحال ستتمكّن من تغليب رأيها في معظم الأوقات على الجماعة الصغيرة. رغم ذلك، ولأن ويكيبيديا لها سياسات وقوانين دقيقة، فعليك أن تتذكر أن هذه القوانين دائماً تقف معك، طالما أنّك أنت الطرف الذي يحاول إرساء الحيادية والموضوعية في المقالة.

وللمناسبة. مجرّد إيمانك بأنك الطرف المحق في النقاش والذي يحاول إرساء الحيادية، لا يعني بالضرورة أن طرفاً محايداً فعلاً قد يوافقك الرأي، لذلك فكر جيداً دوماً قبل بدء أي نقاش. لكن إن كنتَ على الحق، وكانت عندك بعض القدرة على الصَّبر على نقاش طويل جداً، فإنك في النهاية ستسطيع جعل المقالة حيادية فعلاً. الأمر يتطلَّب فقط بعض الجهد، لكن ويكيبيديا -حتى لو كان مجتمعها منحازا- ستساعدك على ذلك.

في النهاية، التخلُّص التام من التحيز في أيّ عملٍ من صنع البشر أمرٌ مستحيل، لأن الناس دائماً متحيزون بدرجةٍ ما لطرفٍ ما في أي قضية، لذلك من الطبيعي وجود بعض التحيز في ويكيبيديا. لكننا نحاول التخلص منه قدر الإمكان. إن رأيت أي تحيز، فمن الأفضل -بدلاً من لوم ويكيبيديا- أن تبادر بنفسك لإصلاحه، لكن قبل فعل ذلك، احرص على أن تفهم جيداً جداً سياسات وقوانين ويكيبيديا، وإلا فإنَّه من المستبعد أن تتمكَّن من تعديل المقالة بطريقة بنَّاءة.

٢. لماذا توجد ويكيبيديا المصريَّة؟

مع أنَّني لا أعتبر هذا موضوعاً متعلِّقاً بالكتاب فعلاً، لأن هدفي الأصلي مناقشة ويكيبيديا العربية وليس أيَّ إصدارة غيرها، لكني أعتقد أن مقدار شُهرة هذه المسألة وكم الجدالات التي تدور حولها على الشبكات الاجتماعية العربية يجعلها جديرة بالذكر هنا. إذاً. لماذا صُنِعت نسخة من ويكيبيديا باللغة/اللهجة[٢٦] المصرية؟

أ. كيف تصنع نسخة جديدة من ويكيبيديا؟

أولاً، يتوجَّب عليّ توضيح أنَّ ويكيبيديا تتبع سياسة الحرية والحياد في جميع المجالات، بما في ذلك صناعة نسخة من الموسوعة بلُغةٍ جديدة. عندما يأتي الأمر لتأسيس ويكيبيديا جديدة، فإنَّ هذه المسألة لا تخصُّ مُجتمعاً مُعيَّنا أو أشخاصاً مُحدَّدين، بل هي شأن عام تحتاج مناقشته لمشاركة من جميع الويكيبيديِّين القادمين من مُختلف أنحاء العالم.

يتمُّ البت بهذه القضايا على موقع مُختصٍّ بإدارة مشاريع ويكيميديا، اسمه الميتاويكي. الميتا هي موقع مستقلٌّ له نظامه ومُجتمع الخاصَّان به، فمثلما أنَّ لويكيبيديا العربيَّة مسؤولين وإداريِّين مختلفين عن ويكيبيديا الإنكليزية، فالميتا أيضاً لها مسؤولون ينتخبهم مُجتمعها ويعملون على الإشراف عليها.

---

(٢٦) أعتقد أنَّ العديدين قد لا يُعجبهم استعمال مصطلح لغة بهذا الصَّدد. أودُّ القول أني شخصياً ورُغم معارضتي لويكيبيديا المصرية كفكرة وتأييدي لتوسعة استخدام العربيَّة الفُصحى، لكن اهتمامي بالموضوعية والحيادية يدفعني إلى تغليب مصطلح "اللغة" على "اللهجة" بالنسبة لمعظم مشتقات اللغة العربية. عموماً، التفرقة بين اللغات واللهجات مسألة مطاطة ليس من السَّهل البتُّ فيها، لكن مُعظم المؤسسات اللغوية العالمية -بحسب علمي- تميل حالياً إلى اعتبار اللهجات العربية لغاتٍ منفصلة، والدليل على ذلك هو وجود ترميز ISO خاصٍّ بكل واحدة منها.



هنا، في مؤتمر ويكيمانيا لسنة ٢٠٠٨ الذي استضافته مدينة الإسكندرية،
أعلنَ عن انطلاق النسخة المصرية من ويكيبيديا.

تنصُّ قوانين الميتاويكي المُتَّفق عليها حالياً على عددٍ من الشروط التي تُقيِّد صُنع نسخٍ لغويَّة جديدة من ويكيبيديا. فمثلاً، من غير المقبول إنشاء ويكيبيديا بلُغة تخيليَّة (مثل اللغات التي تتحدثها شعوبٌ مُعيَّنة في أفلام كأفتار وسيد الخواتم)، أو بلغة ميِّتة (مثل الإنكليزية القديمة، أو النبطية، أو الآرامية).

من الشروط المنصُوص عليها أيضاً أنَّ اللغة يجب أن تكون فريدة كفاية بحيث لا يُمكن إجمالها تحتَ مظلّة لغة أخرى قريبةٍ منها، بعبارةٍ أخرى، يجب أن لا تكون مُجرَّد لهجة محلية. لكن كيف يمكن التمييز بين اللغة واللهجة؟ هُنا تأتي التعقيدات، التي واجهها المُجتمع العربيّ عند اقتراح مشروع ويكيبيديا المصريَّة.

عليك أن تدرك أن إداريِّي مواقع الميتاويكي ينتمون إلى دول وثقافات مُتنوِّعة، لكن وعلى حدٍّ علمي، لا يُوجد شخصٌ واحد بينهم يتحدث اللغة العربيَّة بطلاقة. الآن، المشكلة هي أنَّ لجنة من هؤلاء الأشخاص هم المسؤولون عن قُبول أو رفض طلبات إنشاء النسخ اللغويَّة الجديدة من ويكيبيديا، وبالتالي عليهم الحُكم بطريقة تقديريَّة على كل هذه الطلبات (وعددُها كبيرٌ بالمناسبة)، استناداً إلى ما يُمكنهم الحصول عليه من معلومات.

ب. كيف وُلدت ويكيبيديا المصرية إذاً؟

عندما اقتُرحت فكرة تأسيس ويكيبيديا المصريَّة في سنة ٢٠٠٨، فجَّرت قُنبلة في مجتمع الويكي العربيّ. في الأساس، جَميع الأعضاء المؤسِّسين لمشروع ويكيبيديا المصريَّة كانوا مستخدمين نشطين أو إداريِّين سابقين على النسخة العربية من ويكيبيديا، ولذا أثار مشروعهم هذا سُخط عددٍ كبير من المساهمين العرب القدامى في الموسوعة الذين كانوا على معرفة شخصيَّة بهم.

دار نقاشٌ باللغة الإنكليزية لأكثر من أربعة شهورٍ على الميتا، شارك فيه عددٌ كبير من الويكيبديِّين العرب، وقدَّم فيه كلا الطرفين حُجَجاً كثيرة. لكن في جوهر الأمر، لم يكن من الممكن تقديم حججٍ دامغة ضدَّ المشروع، لأنَّ فكرة ويكيبيديا المصريَّة، ببساطة، لا تخرق أي شرطٍ حقيقي من شُروط اللغات الجديدة على الميتاويكي.

سبقَ وأن قُلت أنَّ من شروط النسخ اللغوية الجديدة من ويكيبيديا أن تُمثِّل لغات حقيقيَّة، لا مُجرَّد لهجة محليَّة، لكن الحُكم على هذه الحقيقة لا يعتمد على رأيي أو رأيك، وإنَّما يرجع إلى أُسسٍ أكثر تعقيداً. بسبب كون هذه المسألة شائكة بدرجةٍ كبيرة، ترجع لجنة اللغات في الميتاويكي عادةً إلى المُنظَّمة الدولية للمعايير (ISO) للحُصول على الحكم النهائي. هذه المنظمة تعطي تصنيفات وأرقاماً تسلسليَّة للغات العالم المختلفة، بحسب أهليَّتها لتعتبر لغات مستقلَّة.

حسب تصنيف مُنظَّمة الآيزو، لا وُجود لشيء اسمه "اللُّغة العربيَّة"، فالعربيَّة تُعتبر -عوضاً عن كونها لغة واحدة- عائلة كاملةً تضمُّ تحتها ٣٠ لغة مستقلَّة، وترجع هذه اللغات الثلاثين إلى اللهجات العربيَّة المُستعملة في مختلف أرجاء العالم العربي، إضافةً إلى اللُّغة العربيَّة الفُصحى بأشكالها القديمة والحديثة. بطبيعة الحال، اللهجة المصريَّة هي واحدة منها، وبالتالي وطبقاً لوجهة نظرة مُنظَّمة الآيزو، فاللهجة المصريَّة هي لغة قائمة بذاتها لها تصنيفها ورقمها التسلسليُّ الخاصَّان بها.

بناءً على هذه المعلومات، قرَّرت لجنة اللغات الجديدة في الميتاويكي أنَّه ما من مانعٍ بصُنع نسخةٍ من ويكيبيديا بـ"اللغة المصريَّة"، وقد أصدرت هذا القرار في ١٤ نوفمبر سنة ٢٠٠٨.

ج. هل وجود ويكيبيديا مصريّة مُشكلة لنا؟

حسناً، لو أردنا مُناقشة الجانب العمليّ المتعلِّق بوُجود ويكيبيديا المصريَّة حالياً، فعدا عن حقيقة أنَّ حوالي ٧٠٪ أو أكثر من محتواها هو مقالات عن تواريخ الأيام والشهور أو البُلدان أنشئت بطريقة آلية خلال شهورها الأولى، وبغض النظر عن أنَّها تنمو بسُرعة ٠.٤٪ تقريباً من سرعة نموِّ النسخة العربيَّة،[٢٧] فهل هي تستحقُّ فعلاً القلق حيالها والدعوة الجائرة لإغلاقها وتخريب مُحتواها؟ لذا سأطرح وجهة نظري الشخصيَّة بهذا الصَّدد.

(٢٧) هذا، بطبيعة الحال، إحصاءٌ تقريبيّ، فمن الصَّعب الحصول على أرقامٍ دقيقة لتوثيق هذا الأمر، لكن وبناءً على ذاكرتي الشخصيَّة، فأنا أعرف أن ويكيبيديا المصريَّة تجاوزت حاجز العشرة آلاف مقالة (بفضل الإنشاء الآلي أو التكراري) منذ سنة ٢٠١٠، والآن وفي منتصف سنة ٢٠١٦ لا زالت عالقة عند أقل من ١٥ ألف مقالة. هذا يعني أنَّ ويكيبيديا المصريَّة تكتسبُ أقلَّ من ألف مقالة كلَّ عام منذ ذلك الوقت، بينما تحصل ويكيبيديا العربيَّة على العدد ذاته (ألف مقالة) في كلِّ نهاية أسبوع.

أولاً، مـن ناحيـة مبدئيَّـة أو أخلاقيـة، لا أعتقـد أن ثمَّـة مُـبرِّراً كـبيراً للانزعـاج مـن وُجـود ويكيبيديا مصريَّة. أنا أتفهَّم تماماً فكرة نشر اللغة العربيَّة الفُصحى وتعميم استخدامها قدرَ ما أمكن، لكن إذا ما فَرَضَ الأمر الواقع علينا أنَّ الناس غيـر قادرين على الالتزام بها ويصعبُ عليهم التعاملُ فيها، فما من وسيلة لمُقاومة ذلك.

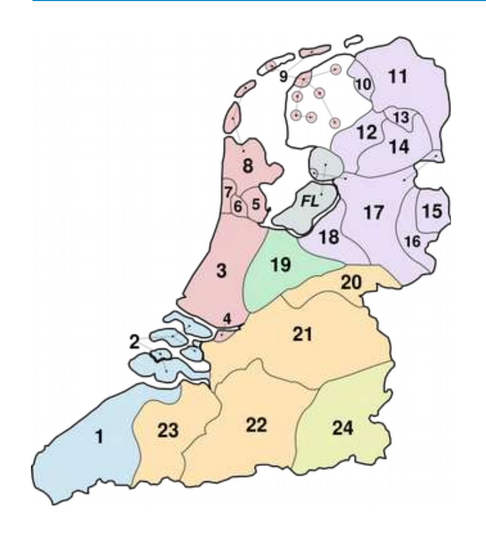
فمن الطبيعي أن يرغب الشخص بالكتابة والقراءة بنفس الطريقة التي يتحدث بها مع أقاربه وأصدقائه، لا بلهجة رسميَّة مُختلفة. والحقيقة أن استعمال عِدَّة لغات أو لهجاتٍ مختلفة في الحياة اليوميَّة للإنسان هو ظاهرة غير صحيَّة تُسمَّى علمياً الازدواجية اللغوية - Diglossia ، وتُثير قلق الكثير من علماء اللُّغة.

لو كنتَ، من جهة أخرى، مقتنعاً بأنَّ العربيَّة الفُصحى لغة أرقى وأبلغ من اللهجات المحليَّة، فدعنا نُعطي الناس فرصة ليكتشفوا ذلك. فهذه مثلاً كانت فُرصة لاختبار شعبيَّة اللهجة المصرية بين متصفِّحي الإنترنت العرب، وكانت النتيجة سلبيَّة جداً بسبب المحتوى الشَّحيح لويكيبيديا المصريَّة، ولا بأس -باعتقادي- بإعطاء المسألة المَزيد من الُفرص لنرى نتائجها العملية.

وأما ثانياً، ومن ناحية علميَّة، فصدِّقني، أنت لستَ الشخص المؤهَّل للحُكم على ما إذا كانت اللهجـات العربيَّـة لغـاتٍ أم لا. قـد تعتمـد علـى منظـورك الشخصـي وحُكميَّتـك الذاتيـة، فتقـول أنَّ بإمكانك فهم مُعظم اللهجات العربية واستيعابها بسُهولة، لذا من السُّخف أن تُسمَّى لغات، لكن كم مرَّة في حياتك درستَ لغة غير اللغة العربيَّة واطلَّعت على لهجاتها المختلفة؟

في الواقع، مُعظم دول العالم فيها لهجات محليَّة معترفٌ بها كلغات مستقلَّة، ولها رموز آيزو خاصَّة بها، ونسخ من ويكيبيديا تتحدَّث بها، مثل اللغتين الأسكتلندية والويلزية في بريطانيا، والكثير من اللُّغات المتنوِّعة الأخرى في دول شرق ووسط أوروبا.

وثالثاً، ومن ناحية فعليّة، لا يُمكن لنُسخة من ويكيبيديا بلهجة عربيّة محليّة أن تحدث تأثيراً حقيقياً على ويكيبيديا العربيّة الأم. مثال بسيط يُثبت ذلك، دولة هولندا دولة صغيرة لا يسكنها سوى حوالي ١٧ مليون شخص، أي حوالي ٥٪ من سكان العالم العربيّ. مع ذلك، توجد في هولندا حوالي خمسة وعشرين لهجة معترفٌ بها كلُغاتٍ مُستقلّة، وخمسٌ منها على الأقل لها نسخٌ لغويّة خاصة بها من موسوعة ويكيبيديا على شاكلة النسخة المصريّة. لكن جميع هذه النسخ متواضعة جداً، فأفضلها فيها نحو عشرين ألف مقالة. وأما ويكيبيديا الهولندية الأم فهي تحتلُّ المرتبة الخامسة على مستوى العالم، بنحو مليوني مقالة. عملياً، هي لم تتعرَّض لأي تأثيرٍ ذي قيمة من نسخ اللهجات المحليَّة.



في النهاية، الكثيرون يحبُّون أن يشغلوا بالهم بأمورٍ من هذا النَّوع، وأن يقضوا وقتاً جزيلاً بالبحث عن طُرق ووسائل للمطالبة بإغلاق ويكيبيديا المصريَّة أو التخلُّص منها، لكن على أرض الواقع، ما هي أهميَّة الأمر؟ إن لم تكن تعجبك ويكيبيديا المصرية فأنت لستَ مضطراً لفعل أي شيء، كلُّ ما عليك هو تجاهل وجودها. هل تعتقد أن وُجودها يسيء إلى الأمة العربيَّة؟

حسناً، برأيي أن ما يُسيء أكثر هو إهدار وقتك بمحاولة تخريب محتوى ويكيبيديا المصرية أو التَّشهيرُ بها، بينما يُمكنك الاستفادة من الوقت ذاته بشيءٍ بنَّاء على الموسوعة العربيَّة التي لا زالت بحاجةٍ إلى أطنانٍ من العمل، عملٌ يُساعد على إيصال محتوى معرفيٍّ أفضل باللغة الفُصحى للقرَّاء العرب. وكما يقول المثل الذي بات كثير التكرار والاستهلاك. إلا أنَّه الآن في محلِّه تماماً: "من الخير أن تضيء شمعة بدلاً من أن تلعن الظلام".

مشاريع ويكيبيديا في المنطقة العربية

ا. مُسابقة "الويكي تهوى المعالم" للتصوير

قبل ثلاثة أعوامٍ تقريباً وفيما كنت أتصفَّح آخر الأخبار على مجلة ويكيبيديا الإلكترونية، لفتَ نظري عنوانٌ بارز: إعلان نتائج مسابقة الويكي تهوى المعالم (Wiki Loves Monuments) لعام ٢٠١٢. كان من الصَّادم أن مسابقة تصويرٍ خاصَّة بويكيبيديا قد أقيمت منذ شهور، ومع ذلك لم أسمع بشيءٍ عنها!

أول ما فكرتُ به هو: ترى، هل ثمَّة أي دول عربية مشاركة؟ بالتأكيد كان أملي ضئيلاً، لكني آثرت التوثُّق. فتحت الخبر وأخذت أقرأ، لأجد أن ثمَّة ٣٥ دولةً من كافَّة أنحاء العالم اشتركت في المسابقة، من بينها جميعاً. ليست هناك أي دولة عربيَّة.

كما سأعرفُ لاحقاً، فإنَّ هذه المسابقة لم تكن محض مسابقة تصوير صغيرة لويكيبيديا. بل كانت -وفق كتاب غينيس للأرقام القياسية- أكبر مسابقة تصويرٍ على وجه الأرض. بدأت "الويكي تهوى المعالم"[٢٨] مشوارها كمُسابقة تصويرٍ محلية في هولندا عام ٢٠١٠، هدفُها زيادة عدد الصور على ويكيبيديا التي توثّق المعالم التاريخية والثقافية بدولة هولندا. حقَّقت المسابقة نجاحاً هائلاً، إذ تبرّع خلالها المشاركون بنحو ١٠,٠٠٠ صورة.

(٢٨) نوقشت هذه الترجمة في ميدان اللغويات بويكيبيديا العربيَّة لشهر مايو عام ٢٠١٣، وحصل هذا الخيار على القبول الأوسع. كان هناك أيضاً اقتراح شبيه "الويكي تحب المعالم". كلمة "معلم" هُنا هي ترجمة لمصطلح Monument، الذي يُشير إلى كل أشكال المواقع التاريخية والفنية والثقافية في أحد البلدان: فالآثار، واللوحات الفنية، والنصب التذكارية، كلها تندرج ضمن هذا التصنيف.



الصّورة الفائزة في مُسابقة الويكي تهوى المعالم لعام ٢٠١٥، منارةٌ في منطقة ريفيّة بشمال ألمانيا.

في العام التالي، توسّعت المسابقة بسرعةٍ لتصبح منافسة على مستوى كامل القارة الأوروبية. رُفِعَت إلى ويكيبيديا أكثر من ٨٠ ألف صورةٍ بمشاركة خمس عشرة دولة. أخيراً جاءت سنة ٢٠١٢، حيث أصبحت الويكي تهوى المعالم -للمرَّة الأولى- مسابقةً عالمية، شاركت فيها خمسة وثلاثون دولة من جميع قارّات العالم. كانت بين الدول المشاركة دول أفريقية مثل كينيا وغانا، وعدة دولٍ آسيوية ولاتينية، بل وأيضاً إسرائيل، التي حقَّقت واحداً من أعلى المراكز بعد أن شاركت وحدها بستة آلاف صورة. بعد انتهاء المسابقة، أعلنها كتاب غينيس للأرقام القياسية رسمياً أكبر مسابقة تصويرٍ على وجه الأرض.

رغم كل ذلك، لم تشهد المسابقة ولا حتى مشاركة دولة عربيَّة واحدة. عندما عرفتُ ذلك، صرت متحرِّقاً لبدء مسابقة سنة ٢٠١٣، كي نُدْخِلَ العالم العربيَّ إلى المنافسة. وبالفعل، بدءاً من شهر أيار (مايو)، اقترحتُ الفكرة على عددٍ من الويكيبيديّين في الأردن، ووافق معظمهم على المشاركة، وأبدوا حماساً رائعاً، فبدأنا التخطيط لإدخال الدولة العربية الثانية إلى المسابقة.

ففي هذا الوقت، كان ويكيبيديون تونسيون أيضاً قد بدؤوا العمل على تنظيم المسابقة في بلدهم، وبدؤوا باتخاذ استعداداتهم. سُرعَان ما انضمَّت الجزائر هي الأخرى، ثم مصر. هكذا، أصبحت عندنا أربع دولٍ مشاركة، ورغم أني كنت أتمنَّى أن يزداد العدد أكثر. إلا أنَّه كان بدايةً جيِّدة.

حتى أسابيع من بدء المسابقة، لم أكن أمتلك فكرةً كثيراً عن العمل المطلوب. كنت مرتبكاً بعض الشيء، لكني حاولت إقناع نفسي بأن الأمور ستسير على ما يرام. كانت رؤيتي في البداية أنَّ جزءاً رئيسياً من الدعاية للمسابقة يجب أن يتمثل بالتعاون من جمعيَّات التصوير ومجتمعات المصوِّرين النشطة في بلادنا، إلا أنَّ كل محاولاتنا في الأردن للعمل مع هذه الجمعيات باءت بالفشل، ولم نحصل منها على شيءٍ يذكر. لأن مُعظم أعضاء هذه الجمعيات، على ما يبدو، ليسوا مُهتمِّين بالتبرُّع بشيء من عملهم للصَّالح العام.

كانت هذه من مراحل العمل المحبطة إلى حدٍّ بعيد، فجمعيّات التصوير وأغلب الجمعيات الأخرى ليست مستعدَّة للدخول في مشروعٍ -حسبما تبيَّن من محاولاتنا- إلا إذا كان يعطيها مصالح مباشرة، لا عملاً تطوعياً بحتاً، كما أنَّ أغلب المصورين لم يتقبَّلوا شرط أن الصور المشاركة بالمسابقة تكون غير محميَّة بحقوق النشر.

في هذا الوقت جاء تحدٍّ آخر للمسابقة. فقد قرَّر متطوعون سوريون،[٢٩] قبل الموعد الرسمي للانطلاق بأسبوعين فقط، أن ينضمُّوا أيضاً، فسارعنا إلى مراسلة المنظّمين والتنسيق معهم. كان هناك قدرٌ ضخمٌ من العمل المطلوب الذي يفترض أن ينجز خلال شهور، وواجهنا ضغطاً كبيراً جداً لأسبوعٍ تقريباً، لكن في النهاية وبمعجزة ما. نجح الأمر، وكانت سوريا آخر دولةٍ تنضمُّ إلى المسابقة عالمياً، رغم الظروف الأمنية الصعبة جداً فيها. هكذا، أصبحت عندنا خمس دول عربيَّة مشاركة بين ٥٢ دولة عالمياً. في الواقع، إنه عدد جيدٌ جداً.



إحدى صُورة الويكي تهوى المعالم لسنة ٢٠١٤، من شارع الأعمدة الرومانية في جرش.

بدأت المسابقة في الأول من شهر سبتمبر. استعملنا شبكة الإنترنت كواجهةٍ دعائية، فأنشأنا صفحات على الفيسبوك وعملنا على نشرها واستغلَّينا كذلك ويكيبيديا، وكانت النتائج صادمة لي في الواقع.

---

(٢٩) الفضلُ الرئيس في تنظيم المسابقة بسوريا يعود إلى لميس الموصلي، وهي طالبة حاسوب في جامعة دمشق، فقد بذلت جهداً عظيماً جداً في إنهاء العمل المطلوب خلال الفترة القصيرة التي كانت معنا.

خلال أيَّامٍ من بدء المسابقة بدأت الصور المشاركة بالتدفّق، وارتقينا بسرعةٍ حتى بلغنا المرتبة الثلاثين. تراجعنا كثيراً فيما بعد، لكننا حصلنا على رصيدٍ هائلٍ من الصور: أكثر من ١٣٠٠ صورةٍ للأردن وحدها. في النهاية، شغلت الدول العربيّة مراتب تتراوح من ٣٧ (تونس) إلى ٤٧ (مصر) بين ٥٢ دولةٍ عالمياً.

يبلغ مجموع ما رفعته الدول العربية الخمسة في كامل المسابقة ٦٠٤٢ صورة، أي نحو ١.٦٪ من المجموع العالميّ. وأما عدد المشاركين العرب فيبلغ ٣٣٦ مصوراً، أي نحو ٢.٨٪ من كافة المصورين المشاركين.

توسَّعت مشاركة الدول العربية في المسابقة في السنة التالية، لتصل إلى جميع دول بلاد الشام (بانضمام لبنان وفلسطين) وكذلك العراق، فأصبحت لدينا ثماني دول عربية مشاركة. شاركت الدول العربية بـ ١٢,٦١٦ صورة هذه المرة، وهو أكثر بقليلٍ من ضعف العدد الذي حقَّقناه في العام السابق، وهو تقدُّم كبير جداً.

للأسف، تراجع وُجود المسابقة العربيّ بنسبة كبيرة في سنة ٢٠١٥، فعوضاً عن ارتفاع عدد الدول المشاركة، لم تنضمَّ إلى المسابقة هذه المرة -من كل العالم العربي- سوى الجزائر ومصر وتونس. وفي الحقيقة، فإنَّ هذا الانخفاض ترافق مع تراجعٍ عالمي في مستوى المشاركة بالمسابقة، التي بدأت الكثير من الدول تنسحب منها، وقد يعود هذا للصُّعوبات التنظيمية والتكرار الشديد للفكرة، إذ أصبح من الصَّعب تحقيق نفس النجاح الذي كانت تثمره في البداية

٢. مُؤسّسة "ويكيميديا الوطن العربيّ"

منذ إعلان تأسيس مؤسَّسة ويكيميديا في ٢٠ يونيو عام ٢٠٠٣ بولاية فلوريدا الأمريكية لتولّي دعم ويكيبيديا مالياً، واجهت المؤسسة صعوباتٍ جمَّة في الوصول إلى البلدان البعيدة عنها وإحداث تأثيرٍ مباشر عليها، أو في إقامة جسور علاقاتٍ قويَّة مع متطوّعي ويكيبيديا في تلك البلدان. لهذا السبب، سنَّت المؤسسة سياسة "فروع ويكيميديا" (Wikimeida Chapters)، تمثّل هذه الفروع منظمات مستقلَّة تجمع متطوعي ويكيبيديا في كل بلدٍ في العالم، ورغم أنها تعمل باستقلالية تامة عن مؤسسة ويكيميديا، إلا أنَّها تتلقى الدعم المادي منها لتمويل نشاطاتها المتعلقة بنشر فكرة ويكيبيديا والمشاركة فيها. وتصبح هذه الفروع أشبه بواجهاتٍ شبه رسمية لويكيبيديا في بلادها.

في الوقت الحاضر، توجد فروع ويكيميديا في ٤٠ بلداً مختلفاً بجميع قارَّات العالم الستّ، ومن أنشط هذه الفروع عالمياً وأقواها الآن: ويكيميديا ألمانيا، وويكيميديا هولندا، وويكيميديا بولندا، وويكيميديا فرنسا، وويكيميديا إسرائيل، وويكيميديا الأرجنتين. حتى الآن، لا تحظى أيّ دولةٍ عربية بفرع من هذا النوع، ولهذا فإن منطقتنا بأكملها تفتقر إلى أي تمثيل رسمي أمام المؤسسة وفي حركة ويكيميديا العالمية.



أوّل لقاء تحضيريّ لتأسيس ويكيميديا العالم العربي، في مؤتمر ويكيمانيا لسنة ٢٠١٣ بهونغ كونغ
من اليمين لليسار (الصفّ الأعلى فالأسفل): زكريا (المغرب)، أسامة (السعودية)، رافان (العراق)،
آية وأحمد (مصر)، رشاد (اليمن)، عبد الناصر (مصر)، عبّاد (أنا في سنين المراهقة!)، محمد عودة (مصر).

بدأت الجهود الأولى لتأسيس فرعٍ لويكيميديا في العالم العربي عام ٢٠٠٨، عندما بدأت مجموعة من محرّري ويكيبيديا العربية بالتخطيط لتأسيس فرع "ويكيميديا مصر". جاء هذا المشروع بالتزامن مع إقامة مؤتمر ويكيمانيا[٣٠] لعام ٢٠٠٨ في مدينة الإسكندرية. لكن ولسببٍ ما من الأسباب،[٣١] فإن مشروع ويكيميديا مصر توقَّف ولم يستكمل تأسيس الفرع، رغم أن الكثير من الويكيبيديين أبدوا استعدادهم للانضمام، ومع أن بعض المتطوعين كانوا قد بدؤوا بالتحدث إلى محامين ليعرفوا الإجراءات القانونية التي يتطلبها تسجيل المنظمة.

(٣٠) مؤتمر حركة ويكيميديا السنويّ الذي يحضره مئات الويكيبيديّين كل عام من مختلف أصقاع العالم.

(٣١) للأسف لم أكن قد انضممتُ إلى ويكيبيديا بعد في ذلك الحين، لذلك لا أعلم ما الذي جرى بالضَّبط. في الوقت الحالي، بات معظم المساهمين الذين عملوا على المشروع وقتها غير نشطين والتواصل معهم صعب، لذلك ليس من السَّهل تقصّي ما حدث.

في سنة ٢٠١٢، بدأ مجتمع الويكيبيديِّين العرب -للمرَّة الأولى- بمُناقشة إمكانية تأسيس فرعٍ لويكيميديا على مستوى كامل العالم العربي. فقد اقتنع المساهمون بأنَّه ما من دولةٍ في المنطقة قادرة حالياً على حمل أعباء فرعٍ لوحدها، ولا زال عدد الويكيبيديّين العرب أقلّ بكثيرٍ من أن يحتضن فرعاً في كل دولة عربية. كما أن جميع الويكيبيديين في منطقتنا تقريباً يساهمون على نسخةٍ واحدةٍ من ويكيبيديا، هي ويكيبيديا العربية، ومن ثم من المنطقي أن يعملوا تحت مظلمة موحَّدة.

فضلاً عن ذلك، سيكون تأسيس فرعٍ موحَّد للمنطقة مفيداً جداً بدعم المجتمعات الويكيبيديَّة الصغيرة في الدول التي لا تستطيع تأسيس فروع خاصة بها بعد.

في عام ٢٠١٣، أقيم مؤتمر ويكيمانيا السنويّ في هونغ كونغ بالصّين، وحضره ٩ من الويكيبيديين العرب (كنتُ -لحسن حظّي- واحداً منهم). هنا، وبمبادرةٍ من الويكيبيدي السعودي أسامة خالد، فُتِحَ ملف ويكيميديا العالم العربي مرَّة أخرى. كان عدد الحضور صغيراً نسبةً إلى المساهمين بويكيبيديا العربية إجمالاً، إلا أن هذه كانت فرصة استثنائية لنلتقي معاً على أرض الواقع، ونستطيع مناقشة القضية وجهاً لوجه. خلال هذه المناقشة وبعد التحدث إلى عدة مسؤولين من مؤسسة ويكيميديا، بات واضحاً تماماً أن تأسيس شيءٍ مثل "ويكيميديا العالم العربي" -ببساطة- غير ممكن، لعدة أسباب.

لدى مؤسسة ويكيميديا سياسة تتعلّق بإنشاء الفروع، هي أن كل فرعٍ يجب أن يُؤسَّس في إطار دولة حصراً. من ثمَّ، لا يمكن تأسيس فرع لويكيميديا يشمل عدة دول، كما لا يمكن تأسيس فرعٍ يشمل منطقة إدارية صغيرة ضمن دولة. وعلى هذا الأساس فإنَّ تأسيس فرعٍ ضمن نطاق منطقة واسعةٍ مثل العالم العربي تضمُّ دولاً مختلفة غير مسموح، ولا يمكن إلا تأسيس فرعٍ لكل دولة مُنفردة (وهو أمر مستحيل حالياً، بسبب قلة المتطوعين)، أو اللجوء إلى نوعٍ مختلف من المنظمات: حيث تقبل سياسات ويكيميديا أيضاً دعم نوعين آخرين من المنظمات إلى جانب الفروع، هما "مجموعات المستخدمين" (User groups)، و"المنظمات المستقلة" (Thematic organizations).



جلسة نقاشيّة لمُمثلي مجموعات المُستخدمين في البلاد العربية، من اليمين إلى اليسار: بلال الدويك (ويكيميديا الشام)، بشوندة محمد (ويكيميديا الجزائر)، أنس سيدارتي (ويكيميديا المغرب)، منير الترزي (ويكيميديا تونس).

يتشارك هذان النوعان من المنظمات مرونتهما، فيمكن تأسيسهما ضمن نطاق مناطق جغرافية أو دول متعددة أو حتى على مستوى عالميّ. إلا أنَّ الفرق الوحيد بينهما هو أن مجموعات المستخدمين منظمات افتراضية تماماً، أما المنظمات المستقلة فلها كيانٌ قانوني وتكون مسجَّلة رسمياً في إحدى الدول.

هنا، اتجهنا إلى مناقشة الخيار الأنسب: هل هو منظمة مستقلة مسجلة رسمياً، أم مجموعة مستخدمين افتراضية؟ في كلا الحالتين، سنحصل على دعم المؤسسة مادياً، ولذلك فإن الأمر ليس جوهرياً بقدر ما أردنا أن نظن. بعد مؤتمر ويكيمانيا، حاولت مجموعة من الويكيبيديِّين العرب العمل ببُطءٍ على مناقشة هذا المشروع وبلورته، إلا أنَّها لم تخرُج بنتائج تذكر، فالتنسيق بين مجموعة كبيرةٍ من الناس بلقاءات افتراضيَّة بحتةٍ أثبتَ أنَّه أمرٌ غير سهل، وينقصُه الالتزام الكافي.

كانت تلك آخر مرَّة، حتى الآن، نُوقشت فيها فكرة ويكيميديا العالم العربيّ في ملتقى ويكيبيديّ بجديَّة، إلا أنَّ السبب في هذا ليس فشلنا التام، بل هو يعود في الحقيقة إلى ظهور بدائل لها، يُمكن أن تكون قادرة على أن تحلَّ مكانها وتؤدي دورها -في الوقت الحاضر- بالنسبة للمنطقة العربيَّة.

٣. مجموعات المستخدمين العربيَّة

حدثت تطوُّرات غير متوقَّعة مع فجر العام الجديد ٢٠١٤، ففجأة ومن دون أي مؤشرات مُسبقة، بدأت تظهر للنور مؤسَّسات ويكيبيديَّة رسميَّة في عدَّة بلدانٍ عربيَّة.

كانت البداية من مجموعة مستخدمي ويكيميديا تونس، فقد أعلنت مؤسَّسة ويكيميديا عن قبولها رسمياً في شهر مارس من العام الجديد، لتكون بذلك أول تمثيلٍ رسميٍّ في ويكيميديا لبلدٍ عربي. مجموعة ويكيميديا تونس نشطة جداً في الوقت الحاضر، فهي تعمل مع مُنظَّمات مُجتمعيَّة أخرى في بلدها وتستضيف باستمرارٍ أنشطة تدعم وتنشر فكرة ويكيبيديا في تونس، وقد بدأت عملها بسُرعة باستضافة مؤتمر ويكي عربيَّة الأول في مدينة المنتسير.

لم يكد يمضي شهران بعد ذلك، حتى أعلن عن ظهور مجموعة مستخدمين مشابهة لها تماماً في مصر، وذلك في شهر يوليو سنة ٢٠١٤. تركز هذه المجموعة جُهودها على برنامج ويكيبيديا للتعليم، وهو مشروع تعاوني مع طلبة الجامعات لتطوير محتوى ويكيبيديا، لكنها تشرف أيضاً على مشاريع متنوِّعة أخرى. تبعت هاتين المجموعتين في السنتين التاليتين مجموعات مُماثلة في الجزائر والمغرب والعراق وبلاد الشام، لتُغطي مجموعات ويكيبيديا بذلك تسع دول عربيَّة مختلفة في الوقت الحاضر.



"جاك رباح" يتحدَّثُ عن مشروع ويكيبيديا صفر، في مؤتمر ويكي عربيّة ٢٠١٦.

في بداية سنة ٢٠١٣، أقمنا -للمرَّة الأولى- اجتماعاً للمُساهمين الويكيبيديِّين في الأردن، بعد أن لم يكن أي من مساهمي ويكيبيديا الأردنيين يَعرف أحداً من الآخرين إلا معرفة افتراضية عبر الإنترنت. تزايدت لقاءاتنا منذ ذلك الحين، فأصبحنا نرى بعضنا الآخر مرة كل بضعة أسابيع أو شهور، ونُناقش مختلف المسائل الطارئة مؤخراً في الموسوعة. لم نعمل على الكثير من المشاريع الفعلية، لكننا كنا على تواصلٍ مستمرّ مع بعضنا، وبدءاً من سنة ٢٠١٥، بدأنا نفكر بإنشاء مجموعة مستخدمين خاصَّة بنا.

مع أنَّنا كنا جميعاً نشطين جداً على ويكيبيديا، إلا أنَّ عددنا صغير، فنحن في جوهر الأمر خمسة أو ستة أشخاص فقط. لذلك، جاء أحدُنا (وهو نضال جرَّار) بفكرة أن نُوسِّع مجموعتنا قليلاً، لتشمل جميع دول إقليم بلاد الشام الطبيعيّ الأربعة، وهي لبنان وفلسطين وسوريا والأردن.

بدأنا بالتواصل مع بعض الويكيبيديِّين في البُلدان المجاورة، فأبدوا رغبتهم بالانضمام إلى المشروع مباشرة، وبنهاية شهر مايو من سنة ٢٠١٥، كنا قد حصلنا على الموافقة الرسميَّة من مؤسسة ويكيميديا لإطلاق المجموعة. جاء تأسيس مجموعة ويكيميديا الشام بسلاسة تامة، فلم تأخذ الفكرة، لتنتقل من رؤوسنا إلى أرض الواقع، سوى عدَّة أسابيع من التواصل والعمل الجماعي.



من الاجتماعات الأولى للويكيبيديين في الأردن، عُقد بدارة الفنون في عمّان بشهر مارس ٢٠١٤. من اليمين إلى اليسار: بلال الدويك، نضال جرار، أنا (مرة أخرى، في أواخر مرحلة المراهقة!)، عيسى المحاسنة، محمد حجير، رامي طراونة.

٤. مُؤتمر "ويكي عربيَّة"

بعد النجاح بتأسيس أول مجموعات ويكيبيديا في العالم العربي، كان علينا البدء بالتفكير بكيفيَّة استغلال هذه المجموعات لتنظيم مشاريع تفيد مساهمي ويكيبيديا العربيَّة، وكانت من أولى الأفكار التي نحتاج للعمل عليها تنظيم ملتقى سنويٍّ للويكيبيديِّين في المنطقة العربية، لتتسنى لنا الفرصة لمقابلة بعضنا البعض ومناقشة الأفكار والمقترحات التي نريد إنجازها معاً.

كانت مجموعة ويكيميديا تونس أول مجموعة عربيَّة تظهر إلى النور، ولذلك أخذت على عاتقها تنظيم هذا المشروع. بعد انتهاء فعاليات مؤتمر ويكيمانيا السنوي لسنة ٢٠١٤ في لندن، والذي التقى فيه مجموعة من الويكيبيديِّين العرب (بمن فيهم أنا) مع أعضاء المجموعة التونسية الجديدة وناقشنا تفاصيل مختلفة تتعلَّق بالمشروع، أعلنت المجموعة التونسية أنها تستعد لاستضافة مؤتمر عربيّ خاصٍّ بويكيبيديا في السنة القادمة، وطلبت منحة من مؤسَّسة ويكيميديا قدرها ٣٥ ألف دولار لتمويله.

إنَّ من المعتاد، بالنسبة لمؤسسة ويكيميديا، تمويل نشاطات من هذا النوع وعلى هذا المستوى في أنحاء العالم. فكلَّ عامٍ تقام ملتقيات سنويَّة خاصة بنسخ لغويَّة مُعيَّنة من ويكيبيديا في الهند وأرمينيا ودول شرق أوروبا وأماكن أخرى، وتُموَّل بمبالغ ضخمة لأهميتها في نشر ثقافة الويكي وإثراء التواصل بين الويكيميديِّين في دول العالم، لكن لم يسبق وأن أقيم ملتقى من هذا النوع في البلاد العربيَّة من قبل، لأن أحداً لم يُبد استعداداً لتنظيمه.



ختامُ فعاليات مؤتمر ويكي عربيّة في بهو مُتحف الأردن بمدينة عمّان، مارس ٢٠١٦.

لم أستطع -شخصيا- حُضور ويكي عربيَّة الأول لأني لم أحصل على تأشيرة من السَّفارة التونسية بالوقت المُحدَّد، لكن النتائج التي رأيتُها توحي بأنه كان، بدرجةٍ ما، ملتقى ناجحاً. من الصَّعب قياس النتائج المباشرة لمثل هذه المؤتمرات، لأنها لا تخرج بالكثير من العمل الفعليّ بسبب قصر مدتها وازدحامها بالنشاطات، لكن أهميَّتها الحقيقة تكمن بالفُرصة التي تعطيها للمشاركين ليجلسوا معاً ويتادلوا الأفكار والخبرات، ويخططوا للمشاريع القادمة.

على الأقل، كان ويكي عربيَّة الأول هو نقطة الانطلاق لما يبدو أنَّه سيتحول إلى مؤتمر ويكي عربيّ سنويّ. فقد وُلدت مجموعة ويكيميديا بلاد الشام بعد شهرٍ واحد فقط من انتهاء المؤتمر، وكان أحد أول المشاريع التي بدأنا بمناقشتها هو استضافة ويكي عربيَّة الثاني في مدينة عمَّان بالأردن، وكانت هذه الخُطوة جوهريَّة، لأنَّ المؤتمر قد لا يتحوَّل إلى حدثٍ استمراريٍّ لو لم تستضفهُ دولةٌ جديدة.

كانت التجربة صعبة قليلاً -من بعض النواحي- بسبب انعدام خبرتنا التنظيميَّة ونقص الكادر لدينا، لكن النتيجة النهائية جاءت، بكلٍّ صراحة، فوق جميع توقعاتي.

لا أعرف لو بإمكاني إعطاء رأي محايد بهذا الخُصوص، لكني أعتبر مؤتمر ويكي عربيَّة الثاني والذي أقيم في ٢٤-٢٦ مارس ٢٠١٦ نجاحاً عظيماً. كانت لدينا محاضرات وورش عمل مُتنوِّعة تغطي جوانب مختلفة من العمل في ويكيبيديا، وحضور متنوِّع ونشط، وكمية جيِّدة من الأفكار الجديدة المقترحة (والتي آمل أن تتحوَّل إلى عمل واقعي من نوعٍ ما). على كلِّ حال، كتبتُ على مدونتي مقالاً مُفصَّلاً يتحدث عن تجربتي في المؤتمر.

مواقع الويكي الأخرى

مع أنَّ ويكيبيديا كانت الموقع الرَّائد في فكرة "الويكي" والكتابة التعاونيَّة، إلا أنَّ هذه الفكرة انتشرت الآن على الإنترنت إلى أبعد الحدود، وأصبحت أسلوباً متعارفاً عليه لبناء مرجع في أيّ مجالٍ من المجالات تقريباً.

معظم المسلسلات التلفزيونية والأفلام والقصص المعروفة لديها الآن مواقع ويكي خاصَّة بها، يمكنك أن تُغَوْغِل[٣٢] اسم أيّ منها مع كلمة "ويكي" وستصل إليها بسهولة، مثلاً: Attack on Titan Wiki أو Lord of the Rings Wiki. لكن جميع هذه المواقع تقريباً هي من صنع مُعجبين عاديّين، حيث يمكن لأيّ شخص (أنت مثلاً!) إنشاء موقع ويكي مجاني خاصّ به خلال دقائق عبر منصَّة ويكيا،[٣٣] حيث تحتضن هذه المنصة الآن أكثر من ٣٦٠,٠٠٠ موقع ويكي.

لكنَّ هذه المواقع جميعاً منفصلة تماماً عن ويكيبيديا وليست لها أي صلة بها، فلا علاقة تربطُها بويكيبيديا سوى أنهما يعتمدان على نفس الفلسفة التطوعيَّة والحقوقيَّة، وأحياناً يشبهونها في الواجهة والتصميم.

لكن ويكيبيديا ليست موقع الويكي "الرسمي" الوحيد على الإنترنت، حيث أنَّ مؤسسة ويكيميديا، وهي المؤسَّسة الرَّاعية أو الدَّاعمة لويكيبيديا، وافقت على احتضان وتمويل ٧ مواقع أخرى تتخصَّص كلٌّ منها بنوعٍ معيَّن من المعرفة الحُرَّة.

(٣٢) الغَوْغَلَة هو مصطلح مستحدثٌ بالتعريب اشتقاقاً من كلمة "Googling" الأجنبية، للمزيد من التفاصيل، يمكن الاطّلاع على مدخلة الغوغلة بويكاموس العربيّ.

(٣٣) ويكيا هي منصَّة مجانية لصُنع مواقع الويكي، أسَّسها جيمي ويلز -نفس مؤسّس ويكيبيديا- لأغراضٍ تجارية سنة ٢٠٠٤. إن إدارة ويكيبيديا ومشاريعها الشقيقة مستقلّة تماماً بالوقت الحاضر عن إدارة ويكيا، حيث أنَّ ويكيا هو مشروع ربحي وملكية خاصة، أما ويكيبيديا فإنَّها للجميع وتعتمد حصراً على التبرُّعات.



من المهم جداً توضيح أنَّ هذه المشاريع كلها (وهو أمر ينطبق على ويكيبيديا نفسها) لا تقبل أي محتوى غير منشور تحت ترخيص حر، يمكن إجمال ذلك بالترخيص الحر الأكثر شهرة في العالم حالياً وهو Creative Commons أو المشاع الإبداعي. ذلك يعني أن أي محتوى محميٍّ بحقوق النشر يوضع على أحد هذه المواقع سيتمُّ حذفه فوراً، أما إن كان العمل شيئاً شخصياً أنتجته أنت، فإنَّك -بمجرَّد وضعه على أي من هذه المواقع- ستقرُّ قانونياً بتخلِّيك عن حقوق نشر هذا العمل، وبأنه أصبح ملكيَّة عامة يمكن للجميع الاستفادة منها أو تعديلها أو إعادة نشرها دون قيود.

الجدير بالذكر أن كلمة ويكيبيديا هي دمجٌ بين مصطلحي "Wiki" و "Encyclopedia" الإنكليزيّين، فالأول هو مصطلح مخترعٌ اشتقَّ من كلمة قديمة مقتبسةٌ من إحدى لغات جزر هاواي، أما الثانية فهي تعني بالإنكليزية "موسوعة"، أي يمكننا ترجمة الاسم إلى "موسوعة الويكي".[٣٤]

(٣٤) أحبُّ أن أضيف هنا أنه ولأسبابٍ تاريخية، جرت العادة على أن يكون اسم "ويكي" هو البادئة في الترجمة. لذلك، بدلاً من قول "كتب الويكي" أو "أخبار الويكي" (كما يفترض أن تكون الترجمة العربيَّة السليمة)، تمَّت تسمية هذه المشاريع "ويكي الكتب" و"ويكي الأخبار" وهلم جراً.

إذاً، ويكيبيديا هي الموسوعة، أما "مشاريعها الشقيقة" كما نسمِّيها عادة، فهي تمثّل ما يأتي: قاموس، ومكتبة، وأرشيف تراثي، وصحيفة أخبار، وجامعة، ودليل رحلات.

فيما يلي ملخَّصٌ عن وظيفة كل واحدٍ منها. وثق بي، قد تجد بعضها أكثر إثارةً لاهتمامك من ويكيبيديا نفسها.

١. ويكاموس

ويكاموس هو القاموس الحر، مشروع يهدف لإنشاء معجمٍ عالميٍّ يشرح معاني وأصول كل كلمات العالم. لا يهدف ويكاموس لأن يكون شيئاً مثل "قاموس عربي-إنكليزي" أو "إنكليزي-عربي" فحسب، إنّما يسعى لتوثيق أكبر عددٍ من المصطلحات المستعملة بجميع لغات الكرة الأرضية. لا زالت النسخة العربية صغيرة الحجم (تحتوي حوالي ٥٠ ألف صفحة، جميعها تقريباً لكلمات إنكليزية وعربية)، لكن النسخة الإنكليزية تحتوي الآن أكثر من أربعة ملايين كلمة بنحوٍ من ٢,٣٠٠ لغة.

مثلما حلَّت ويكيبيديا محلَّ جميع المصادر الأخرى في المعرفة، فإن ويكاموس مؤهَّل أيضاً لأن يحل مكان القواميس والمعاجم اللغويَّة، فبدلاً من الحاجة إلى التبحُّر في كتبٍ عتيقة ضخمة لمراجعة أي مصطلح غريب تصطدم به، تخيَّل إمكانية البحث عن أي كلمةٍ في العالم على موقع واحد لتجد على الفور شرحاً لجميع معانيها مع أصلها اللغوي واشتقاقتها ومرادفاتها وجذورها.



الاحتفالُ بمرور ثلاث سنواتٍ على إطلاق مشروع ١٠٠١ Arabic Words،

وهي مُبادرة من مُؤسّسة "ويكيميديا صربيا" كانت تسعى لإضافة ألف مُصطلحٍ عربي إلى ويكاموس باللغة الصربيّة.

٢. ويكي أخبار

هذه هي صحيفة الأخبار الحرَّة، بصورةٍ رئيسية هي محض مصدر للأخبار التي يكتبها متطوعون عاديون بطريقة تعاونية. إحدى الميزات الأساسية لهذا المشروع أنه يفتح المجال لعامة الناس وشهود العيان بتوثيق ما يحدث في مناطق سكنهم بأنفسهم، حيث يمكن أن يوصلوا للعالم أحداثاً قد لا تهتم وكالات الأنباء الكبيرة دائماً بتغطيتها.

من جهةٍ أخرى، لدى المشروع مشكلة تكمن في أنَّه بحاجة لتحديثٍ دائم، وهو يفقد قيمته بسرعة إن لم يكن فيه نشاط لحظي، وقد كان هذا عائقاً إلى حدٍّ ما أمام نمو النسخة العربيَّة لمدة طويلة. مع ذلك، لا زالت النسخة العربيَّة بحالةٍ جيّدة تقريباً منذ سنة ٢٠١٢، وهي تبلي بصورة مقبولة مقارنة باللغات الأخرى.

٣. ويكي اقتباس

قد يكون هذا أبسط مواقع الويكي الحالية جميعاً، ومع ذلك فإنَّه من أمتعها لتصفُّحه وأسهلها للعمل فيه. الفكرة بسيطة جداً: مرجع لأقوال المشاهير من كلِّ أنحاء العالم.

لكلِّ شخصيَّة مشهورة صفحة خاصَّة تضم قائمةً بأهم أقوالها، بل إن الأمر لا يقتصر على الأشخاص، فحتى الأفلام والمسلسلات الكرتونية والروايات والكتب لديها صفحات خاصة بها تضمُّ الاقتباسات الأبرز والأكثر شهرة منها.

لو كان لديك كتاب مفضَّل، يمكنك بكل بساطة أن تتصفَّحه وتختار (بنفسك. فلا مشكلة بذلك) عدداً من الاقتباسات التي تعتقد أنها تمثّل روح الكتاب وأهم أفكاره، ثم تجمعها معاً وتصنع لها صفحة على ويكي الاقتباس! الأمر ممتعٌ وسهل جداً. ويكي الاقتباس العربيَّة هي -للأسف- إحدى أضعف مواقع الويكي العربية حالياً، فيها أقل من ٥٠٠ صفحة وترتيبها سيّء كثيراً مقارنة باللغات الأخرى.

٤. ويكي كتب

المكتبة الحرة، مصدر لجميع الكتب المنشورة تحت ترخيصٍ حر. مشكلة هذا المشروع أنه يشترط لتضمين أيّ كتاب فيه، أن يكون الكتاب منشوراً تحت رخصة حرة، معنى ذلك أن الكتاب غير محميٍّ -قانونا- بأي حقوق تأليف ونشر، ويمكن استخدامه وتعديله وحتى بيعه دون أيّ قيود تذكر. بما أنَّ الرخص الحرة هي مفهوم جديدٌ يقتصر في معظمه على شبكة الإنترنت، فإنَّ عدد هذه الكتب لا زال محدوداً للغاية، فحتى النسخة الإنكليزية شحيحة إلى حدّ ما.

من جهة أخرى، ميزة ويكي الكتب -مثل سائر مشاريع الويكي الأخرى- أنها تقبل المحتوى من أي شخص، بما معناه، حتى لو عملتَ أنتَ شخصياً على تأليف كتاب، يمكنك بكل بساطة نشره على ويكي الكتب، ولن يطلب أي أحدٍ التأكد من كونك مؤلفاً أو باحثاً أكاديمياً، فالمشروع يقبل المحتوى من كلِّ من يرغب بتقديمه. مع ذلك، لكون تأليف الكتب عملاً يحتاج وقتاً وجهداً ومعرفة أكبر بكثير من كتابة المقالات، لا زالت ويكي الكتب وراء ويكيبيديا بمسافة شاسعة.

٥. ويكي مصدر

أرشيف المصادر التراثية الحر، على ما أعتقد أنه أكبر وأغنى مواقع عائلة الويكي بالمحتوى الفعلي دون منازع، وهو مشروع عظيم، برأيي المتواضع، قد يكسب شهرة كبيرة مع الزمن بسبب أهميَّته. فكرة ويكي مصدر هي أن تكون أرشيفاً شاملاً يوثّق كل النصوص التراثية المكتوبة بأي لغةٍ في العالم، حيث أنَّ هذه النصوص (وهي في معظمها مخطوطات عمرها مئات السنين) لم تعد محميَّة بأي شكل من حقوق الملكيَّة الفكريَّة، وبالتالي يمكن تداولها تحت ترخيصٍ حر.



من مُؤتمر Wikisource المُنعقد في مدينة فيينّا، نوفمبر ٢٠١٥.

على سبيل المثال، تضم النسخة العربيَّة من هذا المشروع (وهي تبلي بلاءً حسناً جداً) نصاً كاملاً مُقسَّماً ومنسقاً من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومختار الصحَّاح للرازي، وغير ذلك من الكتب التراثية الكبرى، فضلاً عن أرشيف كاملٍ لقصائد جميع الشعراء العرب المعروفين، مثل المتنبي وامرؤ القيس وغيرهم. ليس هذا فحسب، بل إنَّ ويكي مصدر تضمُّ أي وثائق حكومية أو عمومية.

فمثلاً، يمكنك على النسخة العربيَّة من الموقع تصفُّح النص الكامل لدساتير الدول العربيَّة بجميع إصداراتها المختلفة، وقراءة النص الكامل لأي قانون عمومي في أي دولة، وحتى الاطلاع على الخطابات المشهورة للشخصيات التاريخية، كخطب أدولف هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية. تسير أمور هذا المشروع بصورةٍ جيّدة حالياً، لكن بما أنَّه يمكن أن يحتوي -نظريا- كماً شبه لا نهائي من الوثائق، فإنَّ هناك دوماً المزيد لإضافته.

٦. ويكي جامعة

مدرسة التعليم الحرَّة، ترحِّب بأي مواد تعليميَّة منشورة تحت ترخيص حر. لو كان هناك أي موضوع يثير شغفك وتحبُّ شرحه بطريقةٍ مبسَّطة وسهلة للآخرين، فهذه فرصتك الذهبيَّة. هذا المشروع لا يختلف كثيراً عن ويكيبيديا، لكن الفرق أنه يهتمُّ بتقديم المعرفة بأسلوب تعليمي مُيسَّر ومع أي شروحات أو إيضاحات لازمة، عوضاً عن استعمال لغة المقالات الموسوعية الجافَّة. ويكي جامعة هي فردٌ جديد نسبياً على عائلة الويكي، ولذلك لا زال محتواها شحيحاً للأسف بمعظم اللغات، وهي موجودة حتى الآن في ١٦ لغة فحسب، لكن -لحسن الحظ- تتضمَّن هذه اللغة العربيَّة.

٧. ويكي رحلات

أجدد أفراد عائلة الويكي. انضمَّت إلى المجموعة في سنة ٢٠١٣، لكنَّها تكبر بسرعة شديدة وتجذب الكثير من المتطوعين. تقدِّم ويكي رحلات دليل سفرٍ هائلٍ لأي بقعة من بقاع الأرض، ميزة هذا الموقع أنه يمكن لسكان أي مدينة أو بلد المساهمة في كتابته، وبالتالي عندما تقرأ دليلاً عن مكان فيه، ستضمن أنَّ عشرات أو مئات سكان هذا المكان قرؤوا الدليل وراجعوه وعدَّلوه بناءً على خبرتهم الشخصية بمنطقة سكنهم. تُقدِّم ويكي رحلات كماً هائلاً من التفاصيل التي يحتاجها المسافر عن أيّ بلدٍ في العالم تقريباً.



إحدى صفحات ويكي رحلات باللّغة الإنكليزية.

ستجدُ هنا شروحات مفصَّلة عن وسائل المواصلات المتاحة بأي البلد (أسعارها، سرعتها، جودتها)، ونوعية الطعام (حيث توجد قوائم مُفصَّلة بأماكن الطعام "الحلال" للمسلمين أو "الكوشر" لليهود)، وأماكن الإقامة (الفنادق حسب أماكنها وجودتها وأسعارها)، والأمان (إذا كانت توجد أماكن خطرة أو أوقات من المساء لا يجب الخروج فيها)، يمكنك حتى أن تحصل على معلومات عن العادات المحليّة وطرق التعامل المناسبة مع سكان المدن التي تريد الذهاب إليها.

ويكي رحلات لا زالت مشروعاً جديداً، ولذلك فهي ليست متوفّرة إلا في ١٧ لغة حتى الآن، واللغة العربيّة ليست متضمَّنة بينها بعد، فهذا هو مشروع الويكي الوحيد الذي لا توجد منه نسخة عربية حتى الآن. لكننا نعمل على إنشاء واحدة، وأرجو أنَّها سترى النور في خلال الشهور المقبلة.

شارك معنا!

ويكيبيـديا قائمـةٌ بالأسـاس علـى تضـافر الجهـود البسـيطة لآلاف وملاييـن النـاس لصـنع موسوعة معرفية متكاملة. فهل فكَّرت يوماً بأن تكون أحد هؤلاء الناس؟

ا. لماذا لا تُصبح ويكيبيدياً؟

سأحسن الظنَّ بك، وأفترض أنك قمتَ ببضع تعديلات إملائيـة بسيطة، أو بتصحيح أخطاءٍ طفيفةٍ في مقالة وأنت تقرؤها مرّة، لكن لا زال بإمكانك فعل أكثر من ذلك بكثير. لو قُدِّر لك أن تصبح ويكيبيدياً يوماً، ستستغرب كيف أمكنك العيش حتى هذا الحين دون أن تكون واحداً!

للوهلة الأولى، قد لا تبدو تجربة الكتابة في ويكيبيديا بتلك الإثارة، فهي موسوعة جادة مليئة بالعمل الشاق الذي ينتظر من يَقوم به. لكن عندما تبدأ العمل على مقالةٍ تحبُّها وتريد لها بصدقٍ أن تبدو بهيئةٍ أفضل، ثم تضع فيها جهداً ووقتاً كبيرين حتى تنتهي منها وتضغط زر حفظ الصَّفحة، ستعرف متعة لعظيمة بينما أنت تنظر إلى ما صنعته، وتتأمل التغيير الذي أحدثته على هذه المقالة إلى الأبد، والإضافة التي قدَّمتَها إلى مخزون المعرفة الإنسانية.

مع الوقت، قد تحبُّ هذا الإحساس إلى درجةٍ تجعلك تقضي اليوم بطوله تعمل على ويكيبيديا دون أن تشعر بأقلِ تعب.

من أفضل الأشياء في ويكيبيديا أنَّه مهما كان مجالك واختصاصك ومهما كانت اهتماماتك، ستجد لك مكاناً بها دائماً. سواء كنت مهتماً بالعلوم، أو بالفن، أو بالموسيقى، حتى لو كنت تقضي كل يومك بلعب ألعاب الفيديو ومشاهدة الأفلام، أو الاستماع إلى أغاني الروك، أو تعمل موظَّفاً في صيدلية للأدوية، في جميع هذه الحالات . هناك دائماً ما تقدِّمه، فكل هذه المواضيع ستجد لها مكاناً خاصاً به في ويكيبيديا.

سحرُ ويكيبيديا يكمُنُ في أنَّها تمنحك شيئاً تقومُ به في حياتك لخدمة البشرية بسُهولة بالغة، وبمُتعة كبيرة. الكثيرون، على ما أعتقد، لديهم استياء حيال الظُّروف التي يعيشون فيها بالبلاد العربية، فتراجعُ مكانة اللُّغة العربيَّة، والتخلف المتَفَشِّي في المنطقة العربيَّة، هي مُشكلات تكون مُحبطة جداً في أحيانٍ ما. لكنَّ الأكثر إثارةً للإحباط هو الشُّعور بالعَجْز عن فِعل شيءٍ بخُصوص هذه المشكلات، وعدم القُدرة على تقديم مُساهمة قيِّمة للتخلُّص منها.



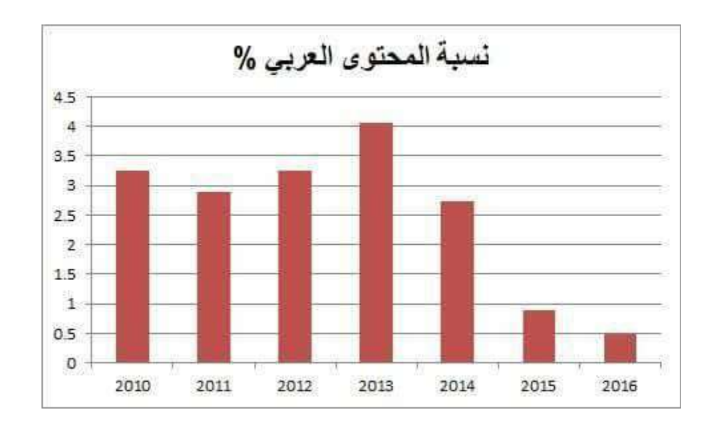
إنفوغرافيك من مُبادرة أيام الإنترنت العربي، التي أقيمت من نوفمبر لديسمبر سنة ٢٠١٢.

برأيي الشخصي، ويكيبيديا هي واحدةٌ من أفضل الوسائل التي تُتيح لكُلِّ فردٍ عاديّ أن يُقدِّم مساهمته الشخصية بالتغيير عَبْرَها. فالمعرفة هي محورٌ أساسيٌّ في تقدم جميع الأمم، وبدون وجود مصادر قويَّة للمعرفة متاحةٍ للجميع، سيكون تثقيف المجتمع مهمَّة عسيرة. تتلقى ويكيبيديا العربيَّة ١٤٠ مليون زيارة كل شهر، هذا يعني زيارة لواحدٍ من كل ثلاثة أشخاصٍ يتحدَّثون اللغة العربيَّة في العالم. لو تمكَّن هذا العدُد الهائل من القُرَّاء العرب من الوصول إلى مصدرٍ علميٍّ قويٍّ ومَوثوق، فتخيَّل مقدار التأثير الذي يُمكن أن يُحدثه عليهم.

٢. مأساة المحتوى العربيّ

في الفترة الأخيرة، وبوجه خاص خلال آخر ثلاث أو أربع سنوات، بدأ يظهر على ساحة الإنترنت العربيّ الثقافي مصطلحٌ جديد، هو "المحتوى العربيّ". رغم أنَّ المصطلح جديد نسبياً، أو على الأقل في انتشاره الأخير، إلا أنَّ المشكلة قديمة قليلاً. فمنذ انطلاق الإنترنت للمرَّة الأولى في التسعينيات تخلَّفت اللغة العربيَّة عنه كثيراً، ثم أخذت تتقدم ببطءٍ شديد، ورغم أنَّ أكثر من ١٠٠ مليون متحدِّث للعربيَّة يستعملون الإنترنت اليوم، إلا أنَّ نسبة المحتوى العربي لا زالت ضئيلة جداً.

التقدير الأكثر شيوعاً لنسبة المحتوى العربي من المحتوى الرقمي العالمي حالياً هو ٣٪، وفضلاً عن أنَّ هذا الرقم لا يعادل سوى نصف نسبة العرب الفعليَّة من سكان العالم، فإنَّ الغالبية الساحقة من هذا المحتوى يتمثَّل بمنتدياتٍ ومواقع تسلية وتواصل اجتماعي، بينما المواقع الجادة العلمية والثقافية والتعليمية شبه معدومة.



الجزء الأكثر سوءاً من الأمر، رغم وُجود مبرراته الوجيهة، هو أن نسبة ضخمة من المثقّفين العرب الذين ينتجون محتوى جيّداً، يميلون إلى استعمال اللغات الأجنبية (عادةً الإنكليزية والفرنسية) في الكتابة أو عند إنشاء المواقع والمدونات على الإنترنت بسبب عدم شعورهم بوُجود جمهورٍ كافٍ مهتم بمحتواهم باللغة العربيّة، ممَّا يؤخِّر أكثر وأكثر في تطوير المحتوى العربي.

من المزعج -بالنسبة لي- رؤية أشخاص ينتقلون لاستعمال اللغة الأخرى أو يقفون مكتوفي الأيدي وهُم يتحجَّجون بتخلُّف اللغة العربية وضعف استخدامها مقارنة باللغات العالمية، بينما هم حتى لم يتعبوا أنفسهم ببذل أي جهدٍ لإصلاح حال لغتهم.

٣. طرقٌ أخرى للمُساعدة

منذ فترة طويلة وأنا مهتم بالتفكير بالآليات والطرق التي يمكنني المساهمة فيها، كفردٍ عاديّ في المجتمع، بتطوير المحتوى العربيّ الثقافي وتطوير العلم المتاح باللغة العربيَّة. في بداية الأمر، كنت أمتلك طاقة كبيرة وحماساً عالياً، وكنت أقضي أوقاتاً طويلة أفكِّر بماهية الأشياء التي يمكنني فعلها للمساهمة بعلاج هذه المشكلة.

لكن مع الوقت، توصَّلت إلى قناعةٍ بأن الحلول السحرية أو شديدة الفاعلية التي كنت أبحث عنها غير موجودة على الإطلاق، بالحقيقة، أي تغييرٍ يحتاج إلى بذل جهودٍ كبيرة وإلى صبر شديد، لأنه ما من شيءٍ ستفعله سيسبّب تغيراً جوهرياً وحاسماً، لكن مساهماتك الصغيرة كفردٍ إذا ما اجتمعت مع مساهمات آلاف الأفراد الآخرين ستحدث التغيير المرجوّ.

هناك وسائل كثيرة يمكنك المساهمة فيها كفردٍ في حركة التغيير وفي تطوير المحتوى العربي، هناك أشياء متنوّعة بإمكانك فعلها وفق اهتماماتك وميولك. إليكَ هنا قائمة صغيرةً بالأشياء التي يمكن فعلها للمساهمة في إثراء المحتوى العربيّ، يمكن لك بالطبع أن تصنع دوماً قائمتك الخاصة التي تعتقد أنها تضمُّ الوسائل الأفضل والأكثر فاعلية:

- **ويكيبيديا:** موضوع كتابنا هذا، حتى الآن أروع وأسهل وأكثر الوسائل التي صادفتها فاعلية لصنع التغيير. هذه الموسوعة هي منصَّة جاهزةٌ لنشر أيّ عملٍ تريده، مهما كتبت عن موضوع اختصاصيٍّ عجيب لا تعتقد أن أحداً في الحياة قد يهتمُّ به، ستفاجئ من أن هناك دوماً زواراً يوميّين سيقرؤون كل ما تكتبه. يُمكنك أن تبدأ من هُنا أو أن تراسلني للمساعدة.

- **تيد:** من أكثر مؤتمرات العالم شهرة وتأثيراً، معسكر عالميٌّ يجمع نخب العقول والمفكّرين من كل أنحاء الكوكب، ليعطوك في دقائق قليلة خلاصات تجاربهم الثرية العملاقة في الحياة. يتيح موقع المؤتمر أكثر من ألف فيديو من محاضريه لمشاهدتها مجاناً على الإنترنت، ويعمل مترجمون متطوعون من جميع اللغات على ترجمة الفيديوهات. اللغة العربيَّة من اللغات الرائدة حالياً، لكنها تحتاج إلى المزيد من الدعم لتحافظ على مركزها، يُمكنك الانضمام إلى مُترجمي تيد الآن.

- **أكاديمية خان:** أشهر مصدرٍ للفيديوهات التعليمية والثقافية المجانية على مستوى العالم، يضم آلاف الفيديوهات التعليمية في جميع المجالات، وهو جزءٌ من ثورةٍ متسارعة في التعليم العالمي نشأت مؤخراً تتجه إلى توفير الدروس بالمجّان عبر الإنترنت للطلاب غير القادرين على الحضور. يعمل مترجمون متطوعون على ترجمة الفيديوهات، واللغة العربية من اللغات المتقدمة حالياً، لكن لا زالت تحتاجُ إلى الكثير من العمل. يُمكنك تقديم طلب الآن لتُصبح مترجماً.

- **غود ريدز:** أشهر شبكة اجتماعية للكتب، يمكن تشبيهه بأنه "فيسبوك" لكنه مخصَّصٌ للكتب. يعتمد الموقع على الجهود التعاونية للناس، لذلك فإنه يحتاج إلى مساهمين لإنشاء صفحات الكتب وتصنيفها. لا زالت الكتب العربية قليلة، لكنها تتزايد. يمكنك أيضاً المساعدة بكتابة مراجعاتٍ عن الكتب التي قرأتها تلخِّصها وتنقدها وتنقل ما استفدتَ منه بها، مثل هذه المراجعات ستكون قيِّمة جداً لمن يفكر بقراءة الكتاب، ولك أنت أيضاً في المستقبل.

- **التدوين:** التدوين وسيلةٌ مهمّة جداً لإيصال أفكارك إلى الناس، إن كنتَ مهتماً بالتغيير، لا بد من أن تكون لك مدونة. ثقافة التدوين لا زالت قاصرةً على المستوى العربي، لذلك ستجد لك مكاناً بسهولة. بإمكانك تدوين أفكار وطموحاتك، أو الحديث عن الأشياء التي تحبّها، تقديم ملخصات عن الكتب التي تقرأها وشروحات للمواقع المفيدة التي تستعملها. باستعمال وورد برس، أفضل خدمة لإنشاء المدونات، يمكنك الحصول على واحدةٍ مجاناً في دقائق.

- **الكتب:** حتى في عصرنا هذا، لا زالت الكتب الوسيلة الرئيسية لتدوين الثقافة وتوارثها. عملك على ترجمة كتابٍ ثقافيٍّ قيِّم سيكون إسهاماً رائعاً للمكتبة العربية الرقمية. يمكنك أيضاً تأليف كتابك الخاصّ عن أي مجالٍ تتقنه، وبإمكانك نشره هنا تحت رخصةٍ حرّة ليقرأه الجميع!

- **البرمجيات:** البرمجيات الحاسوبية الآن وسيلة أساسية جداً للقيام بأيّ عملٍ نريده، من الكتابة والتأليف إلى إعداد الفيديوهات والأفلام. العمل على تعريب برنامجٍ مهم -وأشجّع على أن يكون مفتوح المصدر- سيساعد كثيراً على نشر أعمالٍ قيّمة باللغة العربيّة. يمكنك أيضاً أن تصنع برنامج الخاصّ وتنشره على الإنترنت تحت رخصة حرّة.

- **المواقع الثقافية:** إنشاء المواقع الثقافية، خصوصاً التعليمية منها، هو أمرٌ هامٌّ جداً لتطوير المحتوى العربي. المنتديات تطغى حالياً على عالم الإنترنت باللغة العربية، لذلك نحتاج إلى المزيد من المواقع الجادة، وبالأخصّ المواقع العلمية والتعليمية التي تساعد المهتمّين على إيجاد مصادر ثقافية جيّدة.*

- **مبادرات التَّرجمة:** في الفترة الأخيرة، ظهرت العديدُ من مبادرات ترجمة المقالات العلمية الأجنبية إلى اللُّغة العربيّة، مثل الباحثين السوريّين والسعودي العلمي ونادي فاي العلمي، تُؤدّي هذه المبادرات دوراً مُمتازاً في نشر العلم والثقافة، لكنَّها تحتاج عدداً هائلاً من المُتطوّعين.

- **جمعيّات العُلوم:** هناك الآن في معظم البلدان العربيَّة جمعيات علمية وثقافية وفكرية تختصُّ بأغلب المجالات، أغلب هذه الجمعيات لا زالت ضعيفة وصغيرة، لكن إن استمرَّ الناس المهتمُّون بالتجمع حولها، فقد تتحول إلى مؤسسات مفيدة جداً. من تجربتي، يُمكنني القول أنّ الانخراط الجادّ بهذه المجتمعات قادر على تغيير حياتك بدرجة كبيرة، عبر إيصالك بأشخاصٍ فريدين ومُميّزين على نحو استثنائي جداً، ولهم نفس الاهتمام والمعرفة العميقة بالمجال الذي تهواه، والذي كدتَ تيأس من العثور على أحد غيرك يهتم به.

خاتمة



شكراً لك لقراءة هذا الكتاب، يسعدني جداً أن يكون أحدهم قد استفاد من عملي هذا. أرجو أن قراءته كانت مُفيدة لك، وأن تكون تعرفت على شيئاً جديداً كنت تهتم بمعرفته.

إذا لم تقم بعد بالمشاركة في موسوعة ويكيبيديا، سارع بالبدء في دروس ويكيبيديا، وساهم بشكل فعّال بتشكيل ويكيبيديا ... الموسوعة الحرة! وتذكر دائماً أن "**حقُّ المعرفة، حقٌّ مُقدّس**"!

أخيراً لا تنس تقييم الكتاب على Goodreads. وفي أي وقت يمكن مراسلتي على بريدي الإلكتروني للاستفسار عن شيء أو إعطائي رأيك بكتابي.

aaddira@gmail.com